محمد عبد الله مليباري



١/٥/١٣٨٦ هجرية

الفصل الاول
على الشاشة البلورية

انتهى بها السفر الى مهبط رأسها بعد سير متوال مضـــن واستقبلتها القرية استقبال الفاتحين ٠٠ ان آخر زغرودة لـــم يسكت صداها الا منذحين ٠٠ وستعود القرية الى حياتها اليومية الهادئة ٠٠ نهار كله عمل وكد ، ونشاط وحركة ٠٠ وليـــل مسترخ بليد هادىء ، يمر متثاقلا هنيا ، وينتفض مذعوراتحت ضجة من صخب الانغام التى يرسلها ناى مجنون يحرقه الهوى ويؤرقه الجوى حينا آخر ٠

كان التعب والرهق يطلان من ملامح بثينة وهى مستلقية على فراشها القديم ·· الجديد تتطلع الى طفلها الذى يأخـــذ باقدامه محاولا ابتلاعها ··

وفجأة طغى صوت ناى مجنون على تلك السعادة البائسة ، وقطع على بثينة افكارها حينما تسلل النغم من الكوة مع شعاع فضى من اشعة القمر ·

وراحت عيناها تتبعان الشعا عالفضى الرقيق الذى اخذ ينداح على فم الكوة ، ويلفه فى وشاحه الابيض البلورى ليرسم شاشة اشبه ما تكون بالشاشة السينمائية وما فتىء المنظر الاول لحياتها يأخذ مكانه على عرض الشاشة ··

واطلت « دارة » سيدها الوجيه حسن بكامل مباهجها تحيط بها حديقة غناء ، ويقف على بابها سيارة فارهة ·· واخـــذ المنظر يتحول تدريجيا الى داخل الدارة لتعكس صورة مـــن صور حياتها وهى تروح وتغدو داخلها ·· بين المطبخ والحمام وبيت السلم وخن الدجاج ، وكن الارانب ، وحظيرة الابقـــار لتسارق زوجها أبا هشام بعض نظرات الشوق ، ويتساقيا معا كؤوس السعادة على شكل نظرات خاطفة ، ولمسات راكضة ·

وان تنس لا تنسى الكلمات الاخيرة التى فـــــــاه بها ··

ابو هشام ، وهو يصارع انفاسه الاخيرة فى ذلك اليوم الاسود من ايام حياتها ..

لقد قال لها :

ـ لا تجزعى يا بثينة فانك لا شك ستسعدين فى حياتك ، وتنعمين بها فى كنف هذا الجنين الذى يتمطى فى احشائك .

وتذكر كيف قبضت بكفيها على بطنها فى حركة آلية قبضت على السعادة خشية ان تفر منها لانها عاشت حياتها بعيدة عنها ، ولان السعادة اذا لمحتها من بعيد ولت هاربة او انزوت مختبئة .

لقد اختطف الموت اباها وأمها وهى لما تزل صبية تلهو مع اترابها فى مراعى القرية ، ومنتجعاتها ، واختطف زوجها وهى خادم فى بيت الوجيه حسن ، ولما يمض على التحاقها وزوجها بخدمته ثلاث سنين .

ولم يبق لها فى حياتها سوى هذا الجنين .. هذه السعادة التى تتمطى فى احشائها .. ستتعلق به .. انها تخشى ان يفر هذا الجنين ، او يتبخر فى الاحشاء .. أو .. أو أو ماذا ؟ يخرج الى النور مخمود الانفاس كجنينى سيدتها « احسان » اللذين ولدتهما فى السنتين الماضيتين ..

انها ولدت جنينها الاول بعد شهور من التحاقها بخدمتها
وولدت سيدتها الجنين الثانى ايضا فاقد الحياة رغمدعواتها
لسيدتها لكى لا يقال ان قدمها على سيدتها شؤم .

وولدت سيدتها الجنين الثانى ايضا فاقد الحياة رغم دعواتها وتضرعاتها الى الله بان يرزق سيديها طفلا يسعدهما .

انها قبضت على بطنها خشية ان يلقى جنينها المصير الذى لقيه جنينا سيدتها ، وليتها قبضت على بطن سيدتها يومئذ فقد كانت هى الاخرى حامل .

لقد كان لماضى حملها بالجنين اللذين ولدا فاقدى الحياة أثره فى اعصابها ، يالها من امرأة بائسة تعسة رغم ما تملكه من ثروة وجاه وسؤدد .

المال والجاه ، والعز ليس فيه اى سعادة ولا يذود عن الانسان الذل والاهانة .. السعادة كل السعادة فى أنيعيش المرء متجانسا مع الطبيعة والفطرة والسنة الالهية ولم يكن المال والسؤدد يوما من هذه الفطرة او السنة الا بالقدر الذى كرم به الخالق بنى آدم على ما سواه من مخلوقاته .

ان الشاشة البلورية على كوة حجرتها تنتقل الى مستشفى الولادة حيث وقف على جانب سريرها سيدها الوجيه حسن

•• ترتسم على ملامحه كل معانى البؤس تبرزه خطوط عريضة رسمها اليأس القاتل على اطراف تلك المعانى ••

وقف ليقول لها :

ـ بثينة •• يا بثينة هل تهبين أحد طفليك التوأمين لى ، انك بمن تهبينه ستنقذين حياة سيدتك ، لقد قال الطبيب انها اذا استيقظت من غيبوبتها ، واستفاقت من اغماءتها ولم تجد بجانبها طفلا يدغدغ احساسها بصراخه ، ويثير امومتها بهديله ستفقد حياتها ••

لقد ولدت سيّدتك يا بثينة طفلا ثالثا فاقد الحياة •• ولو ادركت هذه الحقيقة لصعقت ، واسلمت حياتها لانياب الموت •

هل تتنازلين باحد طفليك وقد وهبك الله توأمين •

ثم اخذ الوجيه حسن راحتها فى كفيه ، وراح •• يغمرها بلثمات •• كل لثمة تصرخ مستجدية فى ذلة وانكسار وكل حركة من حركاته تنادى بالرحمة ، وغشيها شيء من العطف والشفقة ، راح يعتصر نفسها ، ويحرك شهامتها القروية •

وما الذل الا ان تثير فيمن حولك الشفقة عليك ! ••

وفتحت فاها لتقول الكلمة الاخيرة •• ولكن لفتة منها الى طفليها جمدت الكلمة على شفتيها فراحت تستدنيهما من صدرها

وكم ودت ان ينشق ذلك الصدر فتوريهما فى كهفه ٠

وعاد سيدها يقول :

ـ بثينة ماذا قلت ٠٠ انك اليوم فى موقف السيد وانا فى موقف الخادم ٠٠ قولى كلمتك الاخيرة ٠٠ قولى الكلمة التى تنقذين بها حياة انسانة رعتك فى كنفها ، ولم تبخل عليك يوما بعطفها ، وحياتها ٠

ودون ان تنبس بكلمة مدت ذراعيها باحد الطفلين مغمضة العينين المخضلتين بالدموع ٠

واستطرد سيدها يقول :

ـ شكرا لك يا بثينة ٠٠ لقد انقذت حياة احسان واحطت عنقى بمكرمة لا تنسى ابد الدهر ٠٠ ستظل هذه المكرمة دينا فى كاهلى لا استطيع سداده ، انه دين باهظ الثمن ، يا بثينة حياة احسان هى حياتى ، ولكنى ارجو الله ان يعيد اليك ابنك هذا رجلا ينفعك فى حياتك ويعينك مع اخيه على نوائب الدهر ٠

هذا ما قاله سيدها الوجيه حسن انها تذكر كل لفظة من الفاظه ، بل تكاد تتصور المعانى مجسمة ٠٠ حتى خفق نعليه الذى غاب تدريجيا عن مسامعها ما زال يضج فى اعماقها وحتى

الصرخة التى اطلقها هشام حينما مضى سيدها بأخيه ما زالت تدوى فى رأسها ..

يا لها من شاشة بلورية لعينة ها هى ذى تجسم المنظر الاخير من مناظر ذكرياتها الاليمة ، منظر خروجها من المستشفى ، وزيارتها لسيدتها احسان فى « دارتها » ..

لقد استقبلتها السيدة هاشة باشة بملامح كلها تنطـــق بالسعادة ، ولاطفتها وابنها هشاما ملاطفة رقيقة مهذبة ولكنها مع كل ذلك لم تستطع ان تستعكس تلك السعادة فى نفسها فبدت امام سيدتها كئيبة حزينة ..

قالت سيدتها :

ـ ما بالك حزينة يا بثينة ذودى عن نفسك الحزن واسلمى أمرك لله ، ان ابنك هشاما سيكون ابننا ، وسيحظى كل رعاية منا يحظاه اخوه .. ابنى الذى رزقنى الله به ..

وتذكر انها أجابت :

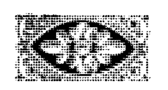
ـ شكرا لك يا سيدتى ، واننى قد انتويت العودةالىقريتى ومهبط رأسى ، حيث اعنى بتربية ابنى هشام هناك وبفلاحـة الارض التى تركها له ابوه .

ـ ولكن يا بثينة ان طاقتك الجسمية لا تعينك على الفلاحة

وربما استأثرت الفلاحة بهاكلها فيهمل ابنك ويحرم من الرعاية وخير لك ان تعيشى بيننا اختا شقيقة وابنـــــك اخا شقيقا لابننا ..

وفرت دمعة من عينى بثينة عند ما تذكرت ابنها الثانى اخا هشام ، فراحت تتحسسه بجانبها ولكنها وجدت .. هشاما يلهو باقدامه التى يحاول ابتلاعها ..

وعادت الى الكوة حيث الشاشة البلورية فوجدت مكانهـــا قطعة مظلمة من الليل الحالك ، اذ قد توارى القمر ، وانفض سامر القرية ، وهدأت الاصوات الا ما يحدثه احتكاك نسمات منتصف الليل بفروع الشجر ، وما يحمله الهواء من صـــوت نباح كلب مريض ، وثغاء نعجة ضل بها الطريق .



الفصل الثـانى
موسم الحصـاد

لا تعلم بثينة هل اكتحلت عيناها بالكرى فكانت ما رأته حلما مجه عقلها الباطن ، وعكسه العقل الواعى على عدسة الخيال ام امضت الليل كله فى خيال خدر جسمها ، ومنحه استرخاءة لذيذة ٠٠ كل ما تعلمه ان الصبح قد تنفس ، والديكة صاحت تستقبل خيوط الفجر المنذرة بشروق الشمس فهبت من مرقدها كأنما احست بسوط يلهب ظهرها ، واخذت هشاما الصغير على صدرها ، ودلفت خارج الحجرة فى طريقها الى الحقل ٠

وهناك وجدت الفلاح الذى استأجرته يعمل على محـراثه ، وعلى خطوات منه وجدت الرفش ملقيـــا فما كان منها الا ان تركت هشاما حيث كان الرفش الذى التقطته وراحت تعمل به فى شق بعض قنوات على جوانب الساقية ينساب منهـا الماء ليغمر الارض المحروثة التى بذرت فيها البذور ٠

وظلت تعمل مع اجيرها الفلاح حتى تمطت الشمس فـى الافق ٠٠ فاستدارت على عقبيها تحمل ابنها آيبة الى حجرتها ولكن الفلاح استوقفها قائلا :

ـ يا بثينة ان ارضك هـــذه رغم خصوبتها معرضة لاول طارق يطرق قريتنا من سيول الامطار الهادرة ٠٠ وان السيول كما تعلمين كثيرا ما تعبث بمزارع القرية فى فصول الامطار وان اول ارض يجدها السيل لقمة سائغة تحت مشافره هى ارضك ٠٠

قالت له :

ـ ولكن ما العمل يا اخ العرب ؟؟

ـ ما العمل ٠٠ هو كل ما نستطيع ان نقوله ٠٠ العمل بيد الله ، ان شاء انقذنا ، وان شاء ابتلانا ٠٠

ـ ولكن لا بد من عمل نصون به ارضنا ونذود عنها غائلة

السيول ٠

ـ ليس فى القرية كلها من تستطيعين الركون اليه فى مثل هذه الاعمال ، ولكنى فكرت ان استخدم الثورين فى سحب بعض قطع من الصخور ، وعمل حاجز منها يحيط بالارض ، ولعل فيه بعض تخاذل لشر السيول ٠٠

ـ افعل ما شئت وسأمدك بما يلزم من مال لمشروعك اذ لابد وان تستأجر من يعينك من شباب القرية على تنفيذ هذا المشروع ، ولك ان تشترى بعض المواشى ٠

قالت له ذلك ثم اخذت طريقها الى الحجرة مضطربة الخطى مهتزة الفكر ٠٠

ان المال الذى تدخره مما وهبه لها سيدها الوجيه حسن وسيدتها احسان كانت تدخره للانفاق منه على تربية ابنها حتى يبلغ مبلغ الرجال ، ولكن الارض ابن ثان لها ٠٠ وشعرت بنصل يخترق احشاءها ٠٠ ان الارض ابن ثالث لها ، أما الابن الثانى ٠٠ فهو ٠٠

آه ٠٠ لا ينبغى ان تذكره لقد تعاهدت مع سيدها الوجيه حسن ان تحفظ هذا السر فلا ينبغى ان تفكر فيه ، ولا ينبغى ان تبيح حتى لنفسها ان تذكره ولو ذكرى عابرة مهومة ٠

ستنفق كل ما تدخره فى صون ارضها من غائلة السيول ومن موارد هذه الارض ستنفق على تربية الطفل ، وتهىء له من الوسائل التربوية ما تجعله رجلا يحمل عنها عبء الحياة ، ورعاية هذه الارض ، واستثمارها ٠

❋ ❋ ❋

مضت الايام ببثينة على نسق واحد ، نهار كله عمل فى الحقل ، وليل يمر رتيبا لا جديد فيه ، مضت الايام وانبت الحقل نباته ، واخذت ثماره نضوجها ، وكانت سنابل القمح والذرة تبدو كالكؤوس المترعة ، ينافس اصفرارها ضوء الشمس ، ورواؤها سحر الصبح ٠

ودنت ايام موسم الحصاد، وبدأ الفلاحون يتهيأون للاحتفال به ، فقد اعتادوا ذلك فى حياتهم ، وكانت القرية كلها ذلك العام تزخر بالمحاصيل الزراعية كانما مسحت عليها يد الشمس ، ورواؤها سحر الصبح ٠

وتهيأ تجار القرية لشراء المحاصيل من بر وشعير وذرة وفاكهة وخضروات يحملونها الى المدن على ظهور جمالهم ، ونياقهم ، وحميرهم ٠٠ تهيأ كل منهم بما لديه من دواب ورجال ، وبدأت الصفقات بين المزارعين وبينهم تعقد بين حين

واخر ، والمفاوضات تجرى ..

واستطاعت بثينة ان تعقد صفقة مغرية مع احد التجاروكان عليها بموجب العقد ان تسلم ارضها الى التاجر يجنى ثمارها ويحصد محصولها على نفقته .

عقدت الصفقة على أن تكون سارية فى اول يوم من ايـــام موسم الحصاد .

ولم تلبث الايام القليلة ان دارت مـــــع الزمن فى عجلته وبات الفلاحون يرقبون صبح غدهم الذى ينطلقون فيه راقصين مغنين مع الدف والناى يحيون فيه عيد الحصاد .

وخيل اليهم ان ليلهم ذلك كان أطول ليل فى حياتهم تمـد افقه اللهفة ، وتقتم سواده ، سماء ملبدة بالغيوم ، وجـــو مضطرب تحت دوى الرعود ، وريح بارد ملتهب تحت السنة البرق الهازئة بالقرية .. الساخرة باهلها المترقبين فجـــر عيد الحصاد ..

وفجأة فتحت السماء فاها متثائبة بماء منهمر يزفه رعـــد مذعر ، ويشق طريقه الى الارض برق مضطرب .

وانهمر المطر مدرارا ، واخذت مياهه تتجمع فى الاودية والسهول ، وتحت سفوح الجبال لتؤلف جيشا لجبا مـــن

السيول يكتسح كل ما يواجهه من حقول ومزارع ، وبيوت .

وانحدرت السيول من الاودية فى طريقها الى القرية تشد من ازرها المياه المنحدرة المتجمعة على سفوح الجبال ، وبطون السهول ، وسبق دويها يعلن القرية بالكارثة ، وصعق اهلها للمفاجأة التى حطمت آمالهم ، وانتزعت سعادتهم التى باتت دانية من احضانهم .

فلاذ بالبيت من كان له بيت يصمد للطمات السيول ولاذ بالجبل وظلال الصخور من لم يطمئن فى بيته لبلاه وقدمه .

وتمزق سكان القرية كل ممزق ، فما كنت تسمع الا دوى السيل يتعانق بخوار ثور غريق ، وثغاء شاة انهدمت عليها حظيرتها ، ونباح كلب او نهيق حمار اخذت المياه بخناقهما ، ونشيج امرأة افتقدت طفلها ، وعويل اسرة تهدم بيتها ، وبكاء طفل نسيته امه حين فرارها .

وهجمت السيول الى القرية وكان اول ما صادفها أرض بثينة المحاطة بحاجز صخرى فاقتلعت صخور ذلك الحاجز وسحبتها معها لتلقى بها هناوهناك، ثمهوت الى الحرثفأهلكته وجعلت عاليه سافله ، ومضت تخترق الارض الى الاراضى المجاورة ، فاراضى القرية كلها .

ولم تقلع السماء الا قبيل انبثاق الفجر ، ولكن السيول ، استمرت فى اعمالها التخريبية حتى توسطت الشمس كبد السماء ، وقبيل مغيبها عاد اللائذون من سكان القرية بالجبال اليها يتفقدون بيوتهم واراضيهم ٠

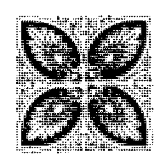
لقد انتزعت السيول محاصيلهم ، وتركت الارض قفرا بلاقع ، تركتها ارضا ذات احافير واخاديد وصخور وجذوع

وما من بيت فى القرية الا وكان له نصيبه فى الكارثة ومع ذلك فقد بات الجميع ليلتهم فى هدوء لا يزعجه اسى الكارثة ولا تقلقه الفاجعة مستسلمين للقدر ، ومصيره ٠

وكانت بثينة اول من استيقظ فى القرية ، وخرجت الى ارضها تحمل فى يمينها الرفش ، وفى يسارها هشاما ولحق بها ٠٠ بعد قليل اجيرها الفلاح ، وراحا يعملان فى الارض ويشقان القنوات ، وينظمان الحقول فى ارادة لا تكل ، وعزيمة لا تضمحل ٠

واخذت الساعات تمر والايام تمضى ، والسنون تتعاقب

ولم تسلم القرية من المآسى فى بعض ايامها ، ولكنها لـــم تشهد مأساة اشد من مأساة ذلـــك اليوم ، وبقيت تلـك المأساة ذكرى اليمة تجترها القرية كلما اجتمع سامرو الحى فى حلقاتهم الليلية ..



الفصـــل الثالث

سيارة من المدينة

وكبر هشام مع الايام ، وتخطى مراحل المراهقة من عمـره فاغنى أمه عن الاجير ، وراح يعمل فى الارض تشاركه أمـــه العمل احيانا ، بما تسمح لها قواها التى تنخر فى جذعها الايام وتعمل فيها السنون بمعاول الوهن والضعف والشيخوخة ·

وقد كانت بثينة تمضى اكثر اوقاتها فى الحجرة تطهـــــو الطعام ، وتعنى بالبيت ، أو تقطع الوقـــت مستلقيـــــة فى فراشها ، تجتر ذكرياتها ، وتستعيد المواقف الاليمة فــــى

حياتها ، موقفها مع سيدها الوجيه حسن ، يوم مدت يدها اليه بابنها الثانى توأم هشام ..

انها ذكريات اليمة لا يغسل آلامها ، ويخفف لوعتها الا ما تراه من محامد ابنها هشام ، وشهامته وعفته ، وحب اهل القرية له .. ومكانته بينهم رغم حداثة سنه ، واخضرار عوده .

وذات يوم حينما كانت كعادتها مستلقية تغالب ذكرياتها دخل عليها هشام فجأة وأثر الاهتمام بادية على ملامحه ترقص مع نظراته العميقة ..

قالت له :

ـ ما بالك يا هشام ؟

قال :

ـ لقد جاءت الى القرية سيارة من صوب المدينة وعليها رجل يبدو من سحنته الوقار والاتزان ، والصدق والاخلاص يجعلان قوله اكثر توغلا فى النفوس ، واوقع اثرا فى الاذهان .. لقد جاء الرجل الى قريتنا يدعونا الى اصلاحها ويعرض علينا العون لاستثمار اراضيها ، واستغلال خيراتها على أن

يكون شريكا لنا فى ثمراتها وحاصلاتها •

ولم يفهم اهل القرية قصده فهبوا اليه يريدون طرده من القرية عنوة ولكنى اعترضت سبيلهم ووقفت فى وجههم وطلبت من الرجل ان يوضح قصده ، بحيث يفهمه كل رجال القرية واهلها ، وهو الان فى الوادى يتجمع حوله الرجال ، وحبذا يا اماه لو تشاركيننا الحديث معه •• لقد عشت مع اهل المدينة عمرا، وعرفت طباعهم، ولا يغيب عنك ما يبطنون من الامور ، وما يظهرون ، وما يخفون وما يعلنون •

ان الرجل قد آنسه موقفى من اهل القرية حينما هموا بطرده وايذائه ، وقد شممت فى حديثه صدقا ، وفى قسماته فتحا جديدا لقريتنا ، وعلى ملامحه حياة اجتماعية جديدة لاهل هذه القرية •

واجابت وهى تنهض لتتبعه الى الوادى ••

ـ اتمنى للقرية ما تتمناه لها ، وارجو الله ان يحقق لنا على يد هذا الرجل الطيب السعادة ، ولكن الاغنياء قل ان تجد فيهم من يسعى لاسعاد قرية واعمارها •• وشق الطرق الموصلة بينها وبين المدينة لتسويق حاصلاتها ومنتوجاتها الزراعية ، ويرون ان كل ذلك من مهام الدولة كأن الدولة هى

المسؤولة عن البلاد وحدها ، وهم بذلك يعقون الوطن الذى وضع على هاماتهم مجد الغناء ، والقى بين ايديهم الثراء ، ولا اعنى بهذا يا بنى ان ليس فيهم من لم يحس بالمسؤولية تجاه وطنه ، وبنى قومه وامته ، ولكنهم كندرة الماء فى صحراء الربع الخالى من ارض بلادنا .

واشرفت بثينة وابنها على الوادى فوجدا اهل القرية ملتفين حول رجل المدينة الذى يجلس صامتا بين يديهم يستمع معهم الى حديث مرافقه الشاب .

ولم يعر المتحدث أدنى اهتمام لهما بل واصل حديثه :

ـ لقد قلت لكم ايها الاخوة ان الشيخ محمد العلايلى

واتجهت الانظار الى رجل المدينة التى يجلس القرفصاء بينهم يجلله شعيرات فضية تقف شامخة بين الشعيرات السوداء على لحية صغيرة مهذبة ..

ومضى الشاب يقول :

ـ لقد قلت انه نذر نفسه لاستصلاح اراضى بلاده ووطنه بقدر طاقته المادية ولو كانت تلك الاراضى فى اعماق الاودية ومهابط الجبال ، واستثمارها واحتلاب خيراتها من الكنوز التى تحتضنها ، وترقد فى اعماقها .

انه فى كل ما يسعى لا يهدف ربحا او مـــالا فقد اغناه الله بواسع فضله ، واعطاه ثراء يستطيع ان يعيش به حياة كريمة رضية هو وابناؤه واحفاده ولكنه يهدف خدمة الوطن والانفاق مما اعطاه الله فيما يعود بالنفع للبلد الطيب ..

ان الصـــــــدقة تفرج عن المتصـــدق عليه ضيقا وقتيـا وتقضى احتياجا قائما من احتياجات الحياة ، ولكن عملا كهذا يخلق فرصة دائمية للمحتاج الفقير يعيش فى ظلها ناعم البال قرير العين هادئا ..

انكم بتعاونكم مع الشيخ محمد العلايلى ستخدمون بلادكم قبل انفسكم ، وتعمرون هذه القرية ، وهى جزء من وطنكـم الكبير .. ماذا قلتم .. ؟

وتحولت الانظار الى هشام وامه ، واخذت اعين القرويين ترقبهما فى حيرة ، وتـــردد واظل الجميـــــــع صمت لاهث لم يطل كثيرا ، فقد تكلمت بثينة موجهة كلامها الى الشاب الخطيب ..

ـ لقد فهمنا كل ما قلته ايها السيد ، ولكنك فيما قلـــت لم تحدد نوع التعاون ، وكيف يتم ذلك بيننا وبين الشـــيخ محمد واجابها الشاب ، وقد ارتسمت على شفتيه بسمة رضا :

ـ سنتفق على ما تريدون ..

وهمت بثينة ان تجيبه الا ان هشاما سبقها قائلا :

ـ اسمع ايها السيد ان اراضى هـــــذه القرية ملك لاهلها لكل فرد منهم الجزء الذى منحه الله له ، وقد انفق فى تملكه عمره ووقف على الارض حياته فاصـــبحت جزء من كيانه بل حياته .. ضياعها ضيـــاع لحياتــه ، فينبغى أن نضع فــى الاعتبار ذلك حين الاتفاق ان الموت عند الفلاح والمزارع خير له من فقد ارضه ..

واجاب الشاب الخطيب ..

ـ ليس من هدف الشيخ محمد انتزاع ملكيـــة الاراضى سيظل كل فلاح ومزارع مالكا لارضه مهما كبرت او صغرت والشيخ محمد يمده بالخبرات الزراعيـــة والالات الحديثة والبذور والشتلات والاسمدة ، ويعمل على شق الطـــرق وتعبيدها ، ليسهل تسويق المنتجات فى اســـواق المدينة ، وحفر الابار واستغلالها لصالح المزارع ، واقامة السدود التى تصد عاديات السيول العابثة بالمزارع والقرية .

وقبل ان يفتح هشام فاه بالجواب بادرت بثينة قائلة فى صوت هادىء متماسك النبرات ..

ـ وماذا يريد الشيخ محمد مقابل هذه الخدمات ؟

واجاب الشاب :

ـ سنتفق على حصة معينة من الحاصلات والانتاج او على اجر معين لكل ارض يدفع الى صاحبها ، واجر معين لكل فلاح يوميا ، او شهريا مقابل عمله فى الارض على أن تكون جميع المنتوجات والحاصلات للشيخ محمد ، وعليه أن ينفق جميع النفقات ، وسواء كانت المنتوجات والحاصلات مجزية او غير مجزية فما على الفلاح الا ان يتقاضى اجره ٠ واجر ارضه ٠

ـ لقد ملأها عدلا ٠٠

قالها هشام ، وتبعه فى ذلك الفلاحون ، حينئذ وقف الشيخ محمد لاول مرة ٠٠ وبدأ يتكلم فى صوت وقور وفى كلمات هادئة عميقة قال :

ـ ان استجابتكم لتدل دلالة اكيدة على حبكم لارضكم وبلادكم ، وعلى تعاونكم المخلص فى سبيل رقيها وتقدمها اللذين هما جزء من رقى بلادنا الحبيبة وتقدمها ٠

ولقد اثار اعجابى هذا الشاب المخلص ٠

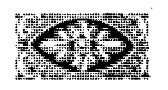
واشار الى هشام ٠٠ ثم واصل كلامه :

ـ لذلك ارجو ان يتعاون معى كمدير عام لمزارع هذه القرية يشرف عليها ويتصرف فى امورها كيف شاء على أن امده بكل ما يلزمه من مال ووسائل اخرى تنهض بمستوى المزارع وتضاعف الحاصلات .

وهتف الفلاحون بصوت واحد :

ـ احسنت الاختيار وسنكون جميعا عونا له ..

ثم قاموا يباركون اتفاقهم معبرين عن ذلك برقصاتهم الشعبية والاغانى القروية ، والنغمات الراقصة يوقعونها على الناى ، وامتد سمرهم الى منتصف الليل ثم انفض الجمع حيث ودع بعضهم الشيخ العلايلى الى مشارف القرية ..



الفصل الرابع

لقـــاء فى الغابة

ـ ما هذا يا هشام لقد مضى اسبوع واكثر من الشهر ولم يصرف لنا الاجر ..

ورفع هشام رأسه ليرى احد الفلاحين واقفا امامه وفـــى نظراته ارتياب يشع مع بريق عينيه .

واجاب هشام ..

ـ ولكن ابا جرس عاد منذ يومين من المدينة ومعه اجوركم

ـ لم نر محمودا منذ عاد .

ـ ماذا ؟ الم يره احد .

ـ لقــــد رآه بعضــنا فجر يـــــوم اول امس ٠٠ يدخل القرية بسيارته ، وقد وافاه بعضنا ضحى أملا فى أن يتسلم اجره الشهرى فلم يجده فى مكتـــــبه ٠٠ لقد مضت سنة على اتفاقنا مع الشيخ العلايلى كان فيهـــا مثالا للنبل ، وكانت الاجور تصرف قبل انتهاء الشهر بيوم او يومين ، حين كانت تصرف على يدك ، ومنذ ان جاءنا محمود ابو جرس هذا أخذ يتلاعب بمصير الاجور فيصرفها لنا شهرا بعد يوم مـــن مضى الشهر وآخر بعد يومين ، والآن مضى اسبوع ٠٠ ويومان على مجيئه من المدينة بالاجر ، ولم نر له اثرا ، وكل واحد منا فى حاجة الى اجره ، ما اغنى الشيخ محمد عن محاسب مثل هذا ٠٠

مالنا وللشيخ محمد انك المسؤول عنا ، فينبغى ان تنقذنـــا من هذا الأبى جرس ، بصفتك مسؤولا عنا ومديرا عاما علينا وعليه ٠

لقد انتدبنى الفلاحون لامثلهم ، واذا لم تصرف اجورهـــم اليوم فسوف يكون له رد فعل كبير فى جموعهم ، وسأعود اليك بهم بعد بضع ساعات ان لم يصرف الأجر ٠

ـ ستصرف اجوركم بعد بضع ساعات انشاء الله فاطمأن

وطمئن اخوتنا أهل القرية ، وسأبحث عن أبى جرس الآن ٠

ثم غادر المكتب باحثا عن ابى جرس ، فلم يقع له على اثر فى داره والاماكن التى اعتاد ارتيادها بين حين وآخر فى القرية كلها ٠٠

ومضت ساعة وبعض ساعة ٠٠ وهشام يجد فى بحثه عن ابى جرس بين المزارع والحقول وبيوت الفلاحين والمنتديات العامة ، ومكاتب شركة العلايلى واقسامها ٠

وعن له حينما اعياه البحث ان يدخل الغابة فاوقف سيارته على مقربة منها ٠٠

ولم يكد يخطو الى داخلها خطوات حتى ترامى الى مسامعه همس متعثر بين حفيف الشجر ودوى الغابة فانزوى يتنصت ٠٠

انه صوت ٠٠ صوت امرأة ورجل ماذا يا ترى يعملان فى هذا الوقت المبكر من النهار ٠

وفجأة سمع الرجل يقول :

ـ ثلاثة ايام وانا انتظرك هنا فى هذه الغابة الموحشة يا ناهد ٠٠

ناهد ٠٠ من هى ٠٠ اوه انها تلك الفتاة القروية الهادئة

التى فتنت شباب القرية ، بقوامها الفارع ، وقدها المشوق ، وصدرها الناهد ، وجيدها العاجى ، ونظراتها البارقة وجمالها المنساب كانسياب المياه فى القنوات والمجارى ٠

ان ناهدا احتلت ذهنه اياما وكانت تخالطه احلامه كلمـــا عقد النوم اجفانه ، ولولا زحمة العمل التى انسته ناهدا لظل يطاردها بخياله ٠

وشعر بقلبه يتهاوى راكضا بين جنبيه حينما ســـمعها تقول :

ـ ولكن الطريقة التى نتعاطى بها الهوى طريقة تدعو القرية كلها الى ازدرائى ، وبالتالى الى الاستهانة بسمعتى وســحق كرامتى تحت اقدامهم ٠٠

اننى قروية كل ثروتها فى الحياة عفتها وكرامتها فقــف مكانك ، وامسك اليك يديك فلا تمدهما نحوى ٠

واجابها صاحبها بقوله ٠

ـ وكيف تريدين ان نكون زوجين ٠

وخيل لهشام ان هذا الصوت مألوف لديه ٠٠ ترى صوت من هو ؟ ٠٠

وقبل أن يسرقه التفكير سمعها تقول :

ـ ليس شرطا ان نجنى الثمار قبل أن تنضج ٠

ـ لا اريد ان اجنى الثمر كل ما اريده ان استاف اريجها فى قبلة ، وانعم بلمسها فى ضمة ٠

ـ اياك ٠٠ اياك ٠٠ ان تدنو منى أو تدنى يديك كن سيدا وقورا مهذبا ، واترك لى سبيلى ودعنى اقتطـــــع من فروع الشجر ما اوقد منها نارى ٠

ـ كيف اتركك وقد اضرمت النار فى قلبى ، انها فرصـــة لم تسنح الا بعد انتظار ثلاثة ايام عطلت فيها كل اعمــــالى وتركت الفلاحين يتميزون غيظا على وقد نفذ صبرهم عـــــلى اجورهم الشهرية التى لم تصرف حتى اليوم ٠

وقفز هشام من مكمنه كمن لدغته حية ٠٠ انه هو انـــه محمود ابو جرس الذى يبحث عنه ، واندفع صوب الصـــوت فادرك ابا جرس يهم بتقبيل الفتاة عنـــــوة ، وهى تتحاماه بالانزواء خلف شجرة ، ولم يطق هشام ذلك فصاح :

ـ ما هذا يا محمود ٠

وفوجىء ابو جرس ـ كما فوجئت الفتاة ، ولكنها اسرعت اليه تحتمى من مطاردها باحضانه التى تهاوت فيهـــا واحس هشام بالدم يتصاعد الى رأسه ، وبالدفء يغمر نفسه فاسرع

يبعد الفتاة من احضانه فى حركة مرتبكة خجلة الا انه سمع محمودا يقول :

ـ دعها فى احضانك يا هشام .. انها متعـــــة شاردة

وامتعض هشام بهذا التعريض فأجابه غير آبه به .

ـ ماذا تفعل هنا يا محمود والفلاحـــــون فى حاجة الى اجورهم أمن الانسانية ان تترك الحاجة تعبث بنفوسهم .

ـ هه .. انسانيَة وانت ماذا جاء بك الى هنا لعلك كنت على وعد معها ..

ـ جئت ابحث عنك ..

ـ تبحث عنى فى الغابة التى لا يدخلهـــا الا محتطب او متعقب صيد ..

ـ ظننتك هنا حين لم اجدك فى الاماكن التى توجد بها فى القرية ، فأتيت ..

ـ صدقت ، ولكنك استطعت ان تصيد عصفورين بحجـر واحد ناهدا .. ومحمود بك ابا جرس .. اليس كذلك ؟

ـ أراك تتمادى فى التعريض . فامسك عليك لسانك .. لقد قلت انى جئت ابحث عنك ..

واحس محمود بما يختفى فى كلمات هشام من ثورة وغضب

فأجابه متخابثا :

ـ يعلم الله انى لم اقصد تعريضا •• ومع ذلك هلا ترى انك اصطدت عصفورين بحجر ••

ـ ليس لى أى مطمع فى العصفور الثانى •

قالها هشام وبحركة لا ارادية اختلس نظرة من الفتـــــاة فرآها كالحة اللون مصفرة يهز عودها اضـــــــطراب خفى فاستدرك قائلا :

ـ ورغم ذلك فقد انقذته من مخالب وحش •

ـ وحش ما اكثر الوحوش التى تحوم حول فريسة مثـل هذه ان انقذتها من واحد اليوم فسوف لا تســـــتطيع انقاذها منها كلها ••

ـ سينقذها عفتها وشرفها ••

ـ أى عفة وأى شرف يحميان جســـــما يلهبه دم الشباب الدافىء ، ان لم تفترس اليوم ستفترس غدا ••

ـ اخسأ انك وغد ••

قالتها ناهد ثم استدارت على اعقابها خارجة من الغابة •

والتفت هشام الى محمود قائلا :

ـ لقد كانت قحة منك ان تتلفظ بهذا على مسمع من فتاة عذراء ·

ـ قحة ـ القحة مجيئك الى الغابة حيث تنتظرك ·

ـ قلت لك جئت ابحث عنك ·

ـ تبحث عنى لماذا ؟

ـ لتصرف أجور الفلاحين التى تأخرت اسبوعا ·

ـ ومن تكن ·· حتى تبحث عنى ، وما صفتك بالنسبة الى

ـ صفتى المسؤول عن الفلاحين ومزارعى القرية ·

ـ ولكنى خارج عن دائرة مسؤوليتك ومستقل عن ادارتك

ـ بل انت تحت ادارتى ·

ـ تحت ادارتك ·· يفتح الله يا عم ·· سوف استقيل من عملى اذا كان قرويا جاهلا مثلك يديرنى ··

ـ انت حر ·· استقل ان شئت ··

ـ اراك تتحدث كصاحب الشركة ··

ـ اننى وكيله العام فى هذه القرية ··

ـ سأرى ذلك ··

ـ ثم مشى دون ان يلتفت الى هشام غير ان هشاما صاح به :

ـ محمود اسمع ·· ســـــتمضى معى الان الى القرية فى السيارة لتصرف للفلاحين اجورهم :

ـ لست مسؤولا عن اجور الفلاحين سأصرفها متى شئت ·

ـ قلت لك ستصرف اجورهم الآن وأنت صاغر ما رأيك ؟

ـ ماذا تقصد ؟

ـ اقصد انك تصرف اجورهم مرغما ·

قال له ذلك ودنى منه يهم ان يأخذ بتلابيبه ، فتصدى له قائلا :

ـ هشام ثب الى رشدك ، أنى لا أحب مصارعتك ··

ـ تحب أو لا تحب ·· قلت لك انك ستصرف الاجور ·

وقد كان هشام فارع الطول ، قوى البنية شديد العضلات فيه خشونة الصحراء ، وبأس اهل القرية بعكس محمـــود الذى ليس فيه ما يسترعى النظر سوى شاربه الكث المزدحمة شعيراته كل شعيرة منها تنافس اختها المكان الذى تحتله من شاربه ··

ودون ان يحرك ساكنا ·· مشى أمام هشام حتى تهـاوى فى اعياء غاضب على المَقعد الخلفى من السيارة ·

الفصل الخامس

أنت الذكاء .. أنت محرك الأحداث

كان ابو جرس يعطى الفلاحين اجورهم فى ذلك اليوم وكل خلجة وحركة فيه تضطرب بين اصابع الحنـــق الخانق الذى يتفاعل مع نفسه .

وكان يزفر بين كل حين زفرات عميقة تلهب الجو المحيط به .. كأنه يريد بها أن ينفث فى وجه الفلاحين نارا محرقة .

كل الفلاحين أوغاد ، سفلة .. هذا ما كانت نفسه تصرخ به ، بين آن وآخر ، انهم من جنس ذلك الوغد هشام السافل

الذى لا بد ان ينتقم منه شر انتقام ، سيريه ان القوة البدنية ليست كل شيء فى الحياة ، سيسقيه من كؤوس النقمة ما يسحق هذا الشموخ والاباء المستظلين بقوته البدنية الخشنة ، الراقدين فى احضان الوفاء الساذج وفاء الكلب الجاهل ٠

انه شاب غرير ، ظن أن وفاءه الذى نال به هذه المكانة عند سيده الشيخ محمد العلايلى سيحمى مكانته فى القرية ٠٠ من احداث الايام ، وتقلبات الزمن ٠٠ الاحداث والتقلبات التى يحرك ساكنها امثاله ٠

وبرقت هذه الخاطرة فى ذهنه ، فافتر ثغره عن ابتسامة ماكرة ٠٠ نعم امثاله هم الذين يملكون زمام الزمن وهم وحدهم الذين يستطيعون تحريك الحوادث ، وصنع التقلبات لانهم اذكياء ٠٠

واتسعت الابتسامة المتقمصة للانانية فى ثغره الكالح ، وانداحت حتى شملت محياه كله ، حتى ان المجارى التى خطتها التجاعيد فى وجهه فاضت بالابتسامة الزاهية فى خيلاء كانها تنطق ٠٠

« انت الذكاء ٠٠ أنت محرك الأحداث ٠٠ وصانع التقلبات »

لا بد ان ينتقم من هشام .. لا بد ان ينتقم .. سيكون الانتقام قاضيا ، ساحقا ماحقا ، ليس فيه اى عـــرق ينبض بالرحمة والشفقة ..

ان الاوغاد السفلة من امثال هشام لا يستحقون الرحمــة والشفقة ، لقد خلقوا ليستهلكوا الذلة والهوان ، ولو لـــــم يخلقوا لذلك لكسد سوقهما ، وتراكمت فى الحياة بائرة ، والا لمن خلق الله الذلة .. خلقها لهؤلاء ومن التحدى لسنته أن ينعموا ويسعدوا فى الحياة ويجنوا ثمار العزة والكرامة ، لابد أن ينتقم من هذا المهين الذليل المنحدر من الاصلاب المهنيـــة الذليلة ..

وقد سرقته هذه الافكار اللائبة فى ذهنه فالهته عن العمل وصرفته عن الفلاحين الواقفين فى صف طويل امام مكتبه ، وافقدته الاحساس بوجودهم ..

ولم يلبث ان سمع احدهم يصرخ به

ـ ما ذا دهاك يا محمود بك ، لقد طال انتظارنا هل فقدت شيئا من الاجور ، رحت تبحث عنه فى خيالك ؟ محلقا فــى ارجائه ..

ـ صه دعنى ، وافكارى ، ولا تتدخل بلجاجـــك فيما لا يعنيك ..

ـ ولكن طال وقوفنا ، وتعطلت اعمالنا .

ـ قلت لك لا تتدخل فيما لا يعنيك ، واذا لم تســـتطع صبرا فانصرف .

ـ كيف انصرف ولم استلم اجرى ..

ـ هل يتبخر اجرك .. عد فى وقت آخر لتتسلمه .

ـ اخشى أن اعود ، واجدك سابحا فى خيالك .. ايضـــا .. واقف كما أنا واقف الآن منتظرا ساعة او ساعتين ..

ـ عشر ساعات .. اذا اردت الاجر فقف كما يقف غيرك .

ـ يا محمود بك انك مثلنا اجير تعمل لحساب الشـــيخ العلايلى فلا بد ان تخلص فى عملك ..

ـ أوه .. لقد تماديت ، ايها الفلاح وتخطيت حدودك ..

ـ ليس بينى وبينك ، وبين أى انسان من خلق الله حدود ،

ـ كيف .. انك فلاح .. قروى جاهل احمق فحدودك واضحة بين المجتمعات الانسانية ..

ـ الانسان هو الانسان فى أى مجتمع نشأ ، وبين أى قوم ترعرع .

ـ قلت لك ان هناك حدودا للفضل فليس كل انسان فى الفضل سواء ..

ـ صحيح ولكن الفضل ليس بالمنشأ وليس بالموضع أو النسب والحسب .. الفضل بالتقى ذلك ما علمنا الدين الاسلامى ..

ـ وأى تقوى فى من ينشأ مثلك جاهلا فى الصحراء ومن اصلاب خلقت للذلة والمهانة .

ـ كل من اتقى الله وعمل صالحا فهو فاضل مهما وضع اصله وتدنى نسبه .

ـ اراك فيلسوفا .. قل ايها الفيلسوف هل خلق الله الحمار ليكون صاحب عزة وكرامة ..

ـ الحمار ليس انسانا .

ـ اذن هل خلقك الله فى هذه القرية جاهلا لتقاسم امثالى من ابناء المدينة المتعلمين المثقفين ذوى الحسب والنسب العزة والكرامة .

ـ لم يفرض الله فى دينه لابناء المدينة المتعلمين المثقفين فروضا ، ولابناء القرية الموحشة الجاهلين .. فروضا اخرى .

وقد فرض على وانا القروى الجاهل خمس صلوات كما

فرض عليك ، وفرض على الحج ، وتساوى فى احكامه الناس كلهم فأمر بقتل القاتل الجاهل ، كما امر بقتل العالم القاتل من ابناء المدينة ، وصاحب النسب والحسب ، والجاه والسؤدد والحكم ايضا ٠

ـ أنا وانت يا سيد محمود فى حدود الله سواء وجعـــل العزة والذلة سلعتان مباحتان لجميع البشر كل فرد منهـــم يقتنى منهما ما يستطيع اقتناءه ٠

كم فى ابناء المدينة اصحاب الحسب والنسب والجاه اذلاء حقيرين ، وكم فى ابناء البادية والقرى الموحشـــة ٠٠ اعزاء مكرمين ، من اراد العزة عليه اقتناؤها ٠٠ ويسلك سبيله اليها ومن اراد الذلة عليه اقتناؤها ويسلك سبيله اليها الا ان لكل منهما ثمنه يدفعه الانسان من حياته وسلوكه ٠

ـ اخرس ، واغرب عن وجهى فلست بمعط لك اجـــرك اليوم ٠٠

ـ ستعطينى اجرى مرغما يا سيد محمود ٠

وصاح الفلاحون جميعا ٠٠ ستعطيه الاجر وانت صاغر ٠

واخذت ابا جرس العزة فصاح بملء صوته ٠

ـ لا أصرف شيئا اليوم ٠٠

وصاح الفلاحون بصوت واحد ستصرف وانت صاغر ٠

وقام محمود ، من موضعه ، يهم الخروج ٠٠ فاعترضوا سبيله ، وتدافعوا أمام غرفته بالمناكب فأخذ يدفعهم ليشق له طريقا بينهم فلم يستطع وغاظه ذلك ، فهوى على أحدهم بلطمة ٠

ولم تكد اللطمة تستقر فى وجه ذلك الفلاح حتى تناولته اللطمات من كل جانب تقرع قفاه ٠٠ وتهاوى تحت تلك اللطمات ، وخذلته قواه فسقط الى الارض ٠

وحمى الوطيس ، وفقد الفلاحون صوابهم فانهالوا عليه ركلا ولطما فى صورة جنونية ٠

وفجأة سمع الفلاحون هشاما ينادى فيهم ٠

ـ ما هذا ٠٠ ما هذا ٠٠ قفوا ان الرجل يكاد يموت ٠٠

واعاد صوت هشام اليهم صوابهم ، فوقفوا يحدقون فى ابى جرسى المنطرح بين اقدامهم فاقد الوعى ٠

* * *

صرف هشام الفلاحين ثم حمل ابا جرس الى مسكنه ، وهناك استدعى له طبيب القرية الذى كان يعمل على حساب الشيخ العلايلى ، وتركه بجانبه يعنى به ٠

ثم عاد الى مكتب ابى جرس ليتولى أمر صرف اجور

الفلاحين ..

ولم يفق ابو جرس الا على لمسات لينة تبلل شفتيه وتدلك قدميه بماء بارد ، واحس براحة تهدهد جسمه .. ففتح عينيه، واخذ يدلكهما بظاهر كفيه كانما يزيل غشاوة تمسك بهدبيه فتحيل الرؤيا الى مناظر غير مألوفة .

أواقع ما يرى .. ليس هذا معقولا .. وكيـــــف يعقل ان تأتى ناهد الى داره ، لتدلك قدميه ، وتبلل شفتيه بالماء ، ولكن ها هى ماثلة أمامه تعمل فى دلك قدميه صامتة صمت شموخ هشام ، أوه انه لا يريد ان يتذكر ذلك الاسم ثم لوح بقبضته فى الهواء كانه يلقى بصورة هشام التى تمثلت فى ذهنـــــه بعيدا عنه ..

ـ كيف ترى نفسك يا محمود بك ؟

وانساب الصوت العذب انسياب الثعبان ليلتف فى مسامعه .. ويوقظ فى نفسه ذكرى موقفه منها بالغابة ..

يا لها من فتاة مسكينة ساذجة طيبة القلب .. أبعد الموقف القاسى الذى وقفه معها ساعتئذ فى الغابة تأتى الى داره لتمرضه انها طيبة .. انسانة .. فيها سذاجة القرويين ، واخـــلاص الفلاحين .. ووفاء الكلب .

اى اخلاص فى الفلاح ·· انه يعمل ما يعمل ليس بدافع الاخلاص ، وانما ليستهلك الذلة والمهانة اللتين خلقهما الله لامثاله ويستنفقهما من سوقهما ، وأى وفاء للكلب ، فلولا اللقمة التى تمسك رمقه لما عرف الكلب سيده ، ولا شك ان ناهدا مثله فهى قروية خلقت للذلة للمهانة ··

واستيقظت الانانية فجأة فى نفسه الوضيعة فرفع قدميه ، ووضعهما فى احضان ناهد ثم صاح قائلا :

ـ ناهد دلكى قدمى واضغطى عليهما بشدة ·· انعظام ساقى اصيبت برضوض ··

ـ اوه قلت لك بشدة ، يعنى بشدة ، ما هذا هل تعجنين طحينا ··

ثم ركلها باحدى قدميه قائلا :

ـ تبا لك من فتاة بلهاء ، قومى الى المطبخ ، وهاتى شيئا أتبلغ به ، فقد كاد الجوع يفرى احشائى ·

واجابته فى هدوء :

ـ ولكن يا محمود بك لقد امرنى الطبيب ان أوافيه فى الوقت الذى تفيق فيه ·· وان أترك البيت متى صحوت ·

ـ هل أمرك ان تتركينى اموت جوعا بعد أن أفيق من

الاغماءة واسترد قواى التى حطمها اولئك السفلة بنو قومك ، وقرينتك ·· قلت لك قومى هاتى لى طعاما ··

ونهضت الفتاة ملبية ·· فراح يتابع خطوها ·· الى المطبخ بنظرات جائعة يلتهم بها قوامها الفارع واحس بان موقفه الخشن سوف لا ينيله بغيته ··

انها فتاة ساذجة ، يستطيع اغراءها بالرفق واللين ·· والخداع ·· وسيجعل منها وصمة فى جبين القرية الشامخة بانفتها وعزتها ··

وما عتمت ناهد ان عادت اليه تحمل طبقا وضعته الى جانبه ··

وتمطى ابو جرس فى رقدته وقال :

ــ آه يا ناهد ·· ان يدى لا تستطيع حراكا سامح الله قومك لقد نالوا منى بالضرب ·· حتى عطلوا يدى سامحهم الله ، وسامحنى فقد كنت نذلا جبانا لم اكرم نفسى ولم اكرمهم ·

واخفت ناهد ابتسامة رفت على ثغرها ثم قالت :

ــ لاول مرة اكتشف فى ذاتك انسانا مهذبا يا سيد محمود ··

ــ اننا ابناء المدينة مهما حاولنا السوء يتغلب على طباعنا

الانسانية التى عشنا فى مهدها .. اننا رضعنا .. مع البان امهاتنا الفضائل والعفو عند المقدرة يا ناهد اننى سانسى كل اساءة لحقتنى ، من اهل قريتك سانساهالاجلك لانسانيتك التى غمرتنى بها .

ماكنت اصدق انك ستجهدين نفسك من اجلى بعد ذلك الموقف الذى وقفته معك فى الغابة ..

واجهد عينيه ليعتصر دمعة كذوبا يخضل بها عينيه ..

ـ ناهد .. ياناهد هل لك أن تلقمينى الطعام ان يـــدى معطلة ..

وغصت الفتاة بريقها وتسارعت الدموع الى مآقيها تعـــزى صاحبها البائس ، ودنت منه تلقمه الطعام ..

قال لها وهو يمضغ اللقمة الاولى :

ـ كيف اطاعتك نفسك على القيام بتمريضى .

ـ انه واجبى ، طالما كنت اجيرة عنــــد الطبيب .. ثم ان كلماته اثارت الشفقة فى اعماقى ، ومع ذلك أبت نفسى ان تطاوعنى خوفا منك ، لولا ان قال لى ان هشاما .

وهنا لمع فى عينيها بريق حاولت اخفاءه ، وادرك ابو جرس الخبيث ما يعتمل فى نفسها ولكنه تغابى وراح .. يتشـــاغل

بالانصات اليها ..

وواصلت الفتاة حديثها .

ـ لقد قال لى الطبيب ان هشاما عنى بك ونقلك الى دارك وحماك من غضبة الفلاحين الذين فقدوا صوابهم وحينما قال لى ذلك وانا ادرى الناس بموقفك المزرى معه فى الغابة احسست ان لى اسوة بهذا الشاب النبيل .

وعاد البريق مرة اخرى يلمع فى عينيها كأنه يشع ما بذات نفسها من حب لهشام .

وتجاهله ابو جرس ، وقال لها وهو يلوك لقمة القتها فى فيه :

ـ ناهد .. انك انسانة ومهما كان موقفى مزريا جبانا معك فى الغابة فاننى لم اكذبك حينما عرضت الزواج منك .

وتصاعد الدم على وجنتى الفتاة ، وصبغهما بلونه القانى ورف الخجل بين عينيها الا انها مدت يدها بلقمة وقالت :

ـ أرى أن تأخذ قسطا من الراحة بعد الاكل ..

ـ لا راحة لى ياناهد ان لم نجتمع معا كزوجة وزوج .

ـ دع ذلك الى اوانه يا سيد محمود .

ـ يا محمود فقط وارفعى الكلفة بيننا فقد اصبحنا خطيبين

ـ قلت لا تتعجل الامور ، واتركها لوقتها ..

ـ ليس للامور وقت .. الا الوقت الذى نصنعه نحن .

ـ سننظر فيما قلت بعد شفائك .

وكان الطبق قد فرغ ، من الطعام فحملته لتعيده الى المطبخ فى خطواتها الهادئة التى يهز عودها تماوج مرتبك وقبل أن تلج المطبخ التفتت اليه وقالت :

ـ سأتركك الان حتى اخبر الطبيب عنك ..

ـ ولكن ارجوك ان تعودى .. اننى معطل الحركة كما ترين ..

ـ لا استطيع العودة الا بامر الطبيب ..

ـ بلغى الطبيب اننى فى حاجة الى عناية انسانة مثلك .

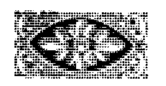
ـ سأبلغه ولكنى عرفت ان هشاما وافق على المبيت بجانبك الليلة ليعنى بشؤونك .

ـ ماذا ؟ هشام يقوم بتمريضى لا .. لا .. قولى له انى لا أريد أحدا يعنى بى ..

وهز النبأ كيانه فتخاذل جسمه واحس بالظلام يزحف ثقيلا ليخيم على صدره فأخذ ينادى ..

ـ ناهد .. ناهد .. ناهد ..

ولكنه لم يعلم ، ان صوته ايضا قد وقع فى قبضة .. ظلام الغيبوبة الخانق ، فبات لا يسمع ، وحتى مسامعه لم تستطع ان تلتقط صوت الباب الذى اصطفق بعد خروج ناهد من الدار .



الفصل السادس

الانسان كبير بأنسانيته

كان الفلاحو نواهل القرية ينتظرون قدوم الشيخ محمد العلايلى الذى قرر الاقامة الدائمة فى القرية .. بالقصر الذى شاده على بعد عشرين كيلو متر منها ..

قرر الفلاحون ان يحتفلوا بالشيخ العلايلى الذى فجر على يده الله تعالى الخير فى قريتهم ، فتوفر لهم به كل مباهج الحياة واتصلت القرية والمدينة بالطرق التى عبدها الشيخ العلايلى على حسابه لتسويق محاصيل القرية ومنتوجاتها الطبيعية التى بدأت تستغل كالرخامات التى تضج بها الجبال هناك وبعض منتوجات غاباتها من اخشاب واصماغ واصباغ .

وقبل وصول الشيخ العلايلى بليلة واحدة كان هشام عائدا الى بيته بعد الهزيع الاول من الليل •• وعقب جولته الليلية التى يتفقد فيها مخازن الغلال والحراس المكلفين بحراستها وقد اعتاد ان يقوم بها يوميا على اقدامه •

وبينما هو عائد تلك الليلة سالكا طريقه المعتاد ليليا اذ احس فى أحد الازقة الضيقة المظلمة باداة حديدية صلبة تهوى كالمطرقة على مؤخرة رأسه سقط على اثر ذلك مضرجا خائرا القوى نازفا الدم الذى احتفر بركة حوله ، وقد استطاع ان يلتقط صوت اقدام راكضة بعد أن هوت الاداة الحديدية عليه واسقطته •

وكانت الحركة آن ذلك قد انقطعت فى القرية كلها وأوى الفلاحون الى مضاجعهم فظل يتخبط فى دمائه يغالب الامه ويئن انينا متقطعا ••

ولا يدرى كم مضى عليه من الوقت ، وهو يغالب الامه حينما احس بخطوات وجلة تقترب منه ، وبانسان ينحنى عليه سائلا :

ـ من أنت ؟

وفى صوت موهن اجابه ..

ــ أنا هشـــام

ــ هشام .. يالله ماذا دهاك ..

وفجأة احس بالدم يتحرك فى شرايينه لتمده بطاقة غيــر عادية ، فاندفع ينهض من سقطته ولكنه لم يلبث ان تهاوى الى مكانه .. وصرخ قائلا :

ــ ناهد ما الذى اتى بك هذه الساعة الى هنا ..

ــ هشام دعك من هذا ، وقل لى من اعتدى عليك .

ــ قولى انت ماذا اتى بك فى هذا الوقت المتأخر من الليل ، وأين كنت ؟

ــ كنت بدارى يا هشام .

ــ ولم خرجت ؟

ــ خرجت التمس الطبيب لامى التى دفعهـــا مرضها الى احضان الاحتضار منذ حين ..

ــ أأمك تحتضر ياناهد ؟

ــ هذا ما استطعت ان افهمه من حركاتهـــا تحت قبضـــة الآلام ..

ــ قومى اسعفيها بالطبيب .

ـ وانت يا حـ ....

ـ أنا .. دعينى حيث انا .

ـ انك متعب يا هشام ، ودمك ينزف من الجرح .. آه .. قل لى من اعتدى عليك ..

لا ادرى .. اتركينى .. اسعفى أمك المشرفة على الموت .

ـ لا استطيع ان اتركك .. ان قلبى يتمزق

ـ قلت لك اتركينى ، وامضى فى سبيلك .. لست فى حاجة الى معونتك .. سأقوم بعد أن استجمع قواى وامضى الى دارى ..

ـ ولكن الجرح ينزف دما سأضمده لك ..

ثم انتزعت قطعة من ملاءتها ضمدت بها الجرح وتركته حيث هو ، وخطت بضع خطوات فى طريقها غير انها احست بالخطوات تثاقل ، وبالارض تجتذب اقدامها فوقفت حيث هى تلتفت اليه وهمت بالعودة لولا انه لوح لها بيده يصر عليها بالمضى فى سبيلها ..

وفى طريقها الى الطبيب عرجت على أمه بثينه واخبرتها عن حال ابنها ..

وفى الصباح فوجىء اهل القرية بنبأ اصابة هشام ومصاب

ناهد بامها فى ان واحد ..

لقد ماتت امها تلك الليلة بعد وصول الطبيب بدقائق أما هشام فقد استعانت امه على نقله الى الدار ببعض القرويين واسعفته بالاسعافات الاولية التى لها علم بها حتى حضر طبيب القرية فى طريق عودته من بيت ناهد التى اخبرته بخبر هشام

وعاد القرويون ضحى من المقابر بعد ان واروا جثة أم ناهد التراب ، عادوا الى القرية زرافات ووحدانا فقد كانت مقابر القرية تقع على مشارفها فوق تلال تذود السيل عن رفات النائمين تحت اطباق الثرى ..

وكل من وصل منهم الى القرية كان يعرج الى دار هشام يزوره ويعوده ، وكل منهم كان يسأل عن الجانى الذى سولت له نفسه ان يتجنى عليه لظنهم ان ليس فى القرية كلها من يكن حقدا او بغضا .. له .

وكل منهم كان يشير بطرف خفى حينا ، وبصراحة القرويين احيانا اخرى الى ابى جرس عدو القرية كلها وعلى الاخص هشام ..

وكان الدار غاصة بالقرويين حينما اقبل بعضهم يعلن قدوم الشيخ العلايلى الذى وصل القرية ، وهب من فى الدار

وقوفا يستقبلون ولى نعمتهم ..

وعند ما تخطى الشيخ العلايلى الى داخل الحجرة التى يرقد فيها هشام خرجت اليه بثينة تحييه ، وحاول المريض ان ينهض ليستقبله فاسرع بأخذ بيده الى فراشه قائلا :

ـ هشام كيف انت ، لقد فوجئت بالخبر منذ وصـــــــولى فاسرعت ازورك ..

ـ الحمد لله .. على كل حال .. ان الاصابة طفيفة .. سأخرج الى العمل غدا أو بعد غد ،

ـ انها خفيفة ولكن لا ينبغى ان تترك البيت قبل ان تبرأ تماما ..

قل لى .. من يا ترى الجانى ؟

ـ لا ادرى كل ما ادريه ان الاداة الصلبة هوت على مؤخرة رأسى ، وان اقداما قفلت راكضة .. وانا اسقط من هــــــول الضربة ..

ـ أتشك فى احد يا هشام

ـ ليس فى القرية كلها من أشك فيه

وقبل ان يستطرد فى كلامه قاطعه احد الفلاحين بقوله :

ـ كلنا نشك فى محمود بك ابى جرس

واجابه هشام فى حدة ..

– انى لا اشك فيه ، فليس من المعقول ان يتجنى ابو جرس على ، وانا الذى سهرت بجانبه ليالى حينما كان مريضا منـــذ ايام ..

وفى هدوء سأله الشيخ العلايلى .

– وهل مرض ابو جرس ؟

واجابه الفلاح قبل أن يتكلم هشام

– لم يمرض ولكن بعضنا تعاون على ضربه يوم صرف الاجور لانه اهاننا ولطم احدنا ، واخر صرف الاجور اكثر من شهر .

ولم يترك هشام الفلاح يواصل كلامه بل قاطعه قائلا :

– انها مسألة لا تستدعى اى اهتمـــام مـــن الشيخ محمد مسألة دائمة الحدوث بين العاملين ، ولا سيما اذا كانوا مـــن بيئتين مختلفتين ..

واجابه الفلاح

– مهما يكن فان ابا جرس لا يطاق ، وهو يتعمد اهانتنـــا دائما ..

فقال هشام ..

ـ ذلك ما يتراءى لكم ، وارجو من الشيخ محمد ان لا يعير اى اهتمام لما حدث فقد استطعت ان افهـــــم ابا جرس بعض خصالكم واكشف له عن نواياكم الطيبة نحوه ، واحترامكـــم له ٠٠

هنا تكلم الشيخ العلايلى

ـ ماذا ترى يا هشام ٠٠ هل نعفى ابا جرس من العمل معكم هنا ٠٠ اننى اعتبرك ابنى ووكيلى فى كل الاعمال ، وكم انا متألم لما حدث فى القرية ، ولما حدث لك بالذات ، وان كنـــت تشك فى ابى جرس وسلوكه نحوك فانى مستعد لفصله مـــن العمل الان ٠٠

ـ انى لا اشك ، وارجو ان تعفو عنه ٠

ـ انك وكيلى فاذا رأيت فصله من العمل فالامر متروك اليك افصله متى شئت ، وافصل كل من شئت من العمل فى اعمال المزارع ، ومصانع القرية ، وستجدنى لا احاسبك فى احـــد ، أو اسألك عن احد ، لقد اتخذتك ابنى ، اذ لم يرزقنى الله بابن يساعدنى فى شيخوختى سوى فتاة، اتمنى اليه تعالى ان ينفعنى بها فى حياتى ، وينفع بها هذه البلاد والامة ٠

انها تخرجت فى كلية الزراعة بالجامعة الاميركية فى بيروت وقد كتبت الى بنبأ تخرجها منذ يومين ، ولعلها تصل الى هنـــا لتشاركنا العمل خلال ايام قليلة ٠٠ انها ستكون اختا لك ٠٠

فى هذه الاثناء اقبلت بثينة تحمل بعض كـؤوس الشاى ، وتقدمت من الشيخ العلايلى تضع احداها بين يديه قائلة :

ـ شرفتنا ايها الشيخ ٠٠ ان دارنا لاول مرة ترى هـــذه الطلعة المباركة ، وفرحتنا بك لا توصف ٠٠

وابتسم لها الشيخ العلايلى ثم قال :

ـ انك بركة هذه القرية ، فبأرادتـــك وعزيمتـك ٠٠ استطاعت أن تصل الى ما وصلت اليه ، اننى اذكر اليوم الذى اراد اهلها ان يطردونى ، يوم جئت افاوضهم فى أمر اصلاحها ولولاك وابنك هذا لظلت القرية تتخبط فى ماضيها المعتم ٠

واجابته بثينة ٠٠

ـ استغفر الله ان كل هذا الخير الذى طوق قريتنا لم يعطه الله لنا الا بك ٠٠ اطال الله لنا فى عمرك ٠٠

وفجأة طرق الباب فاسرعت بثينة لترى الطارق وقد كـــان ناهدا ٠٠

دخلت ناهد الى الحجرة فى خطوات متلهفة وفى عينـــــها سؤال وهمت ان تجثو بجانب فراش هشام الا انها ترددت مضطربة حينما رأت الشيخ العلايلى ، ووقفت تحدق بانكسار فيه وقد تعلق على اهدابها معنى من معانى البؤس والحزن ٠

ورمقها الشيخ العلايلى بنظرة فيها تساؤل اجابته عليه بثينة بقولها :

ـ انها ناهد ٠٠ الفتاة التى ماتت امها البارحة

ـ لقد سمعت بموتها ، ولكننى لا اعرف هذه الفتاة ثم وجـه كلامه الى ناهد ٠٠

ـ أليس لك احد غير أمك ٠٠

ـ ليس لى احد الا الله ٠٠ ثم ٠٠٠

وقبل ان تستطرد تسللت عيناها الى هشام ولم تترك احدا يلحظ ذلك بل واصلت القول :

ـ ثم اهل قريتى هذه

وسألها الشيخ العلايلى :

ـ وماذا تعملين يا ابنتى

ـ اعمل خادما بدار طبيب القرية ، ومربية لابنائه

ـ انك فتاة عروس فى مثل سن ابنتى ، وجميلة واهـــلا

لتكونى زوجه لاحسن شاب فى القرية ٠

واسبلت الفتاة اهدابها خجلة، وضغطت بأسنانها على احدى شفتيها ، ولم يمنعها ذلك من سماع قول الشيخ العلايلى :

ـ ابشرى ياناهد سأحتفل بعرسك يوم عرس ابنتى على من سيختارك من فتيان القرية ، زوجة له ، ان ابنتى ستزف الى ابن عمها عصام وهو شاب يقدم الان رسالة ٠٠ الماجستير فى لندن ٠٠ لعلك لا تعرفين الماجستير ٠ انها شهادة من كبريات الشهادات العلمية ودرجة من درجاتها الكبرى سينالها فى غضون هذا الشهر ، ويعود ليعمل مستشارا فنيا فى الشركة ، وهو شريكى فيها بحكم شراكة ابيه ٠

وفتحت ناهد فاها لتشكره ولكن الكلمات تجمدت على طرف لسانها فهوت على يد الشيخ العلايلى تقبلها معبرة له عن شكرها ولكنه سحب يده بلطف دون أن يمكنها من لثمها ثم ربت على كتفها قائلا :

ـ عظم الله اجرك يا ابنتى ، فاصبرى ففيك الخير انشاء الله

ثم نهض يودع هشاما وامه وغادر الدار ومن خلفه القرويون ٠٠

وبعد مغادرته الدار اقبلت ناهد الى بثينة وقالت :

ـ يا ام هشام ان القرية اليوم تؤبن امى كما جرت العادة . وقد اجتمع الجميع فى الميدانالعام وجئت ادعوك وهشامـــا لتشاركانا فى حفل التأبين وقراءة الفاتحة ..

ـ ان هشاما كما ترين يا ناهد لا يستطيع الحراك وهـــو فى حاجة الى من يعنى بشأنه فاعذرينى .

ـ عذرك واضح ، فاستودعك الله واسأله ان يعجل بشفاء هشام ..

ثم همت مبارحة الدار الا أن بثينة استوقفتها قائلة :

ـ ناهد هل تستطيعين العودة الى هنا ليـــــلا لنسهر معا بجانب هشام اظنك لا تمانعين ، وسوف لا يحتاج الطبيب اليك الليلة لتمريض احد المرضى .

ـ حتما لا أمانع بل ارحب بهـــــذه الخدمة ســـأعود اليك بمجرد انتهاء مراسم التأبين والعزاء المعتادة .

❖ ❖ ❖

عادت ناهد الى بيت هشام بعد ان قطع الليل شوطا فـــى مسيرته لتجد ام هشام تجلس القرفصاء بجانبه تفرك يدهـا لتطرد البرد الذى يتسلل الى جسمها الواهن المكتهل ، وتحاول التغلب على النعاس وهو يعاود اجفانها ويلقمها بين حين واخر

بقطع من التثاؤب الذى يكاد يمزق فكيها ٠٠ أما هشـــام فقد كان مسترخيا تحت وهدة الألم ٠٠ فى شـــبه اغماءة ، وكانت حرارته مرتفعة لدرجة ان الجالس بجانبه يحس ببخار يمد الاجسام الباردة بدفء لذيذ ٠

استقبلت بثينةناهدا بابتسامة بددهاتثاؤب كالح ثم اخذت تجاذبها حديثا فاترا يقطعه تثاؤبها الذى لا يلبث ان تتجاوب معه ناهد بتثاؤب اخر بفعل العدوى ، والتثاؤب حالة عجيبة فى الانسان ٠٠ انها حالة تتلبسه بمجرد تذكرها او ســماع شيء عنها ٠

وكان الليل هادئا يطبق بصمته الموحش على خناق كـــل صوت حتى الكلاب أوت تتلمس الدفء ، وحتى أزيز الريـــح اثلج اطرافه البرد ، ليل كل ما فيه موحش ، يثير فى النفوس الذكريات المظلمة المتلفعة بالسواد ٠٠

وفتر الحديث حتى انقطع تماما بين بثيـــنة وناهد ٠٠ واستسلم كل منهما لهواجس النفس والذكريات التى بعثها ذلك الليل الصامت البارد ٠

تذكرت بثينة زوجها ابا هشام والايام الاولى من حياتهمـــا

الزوجية التى قضياها معا فى هذه الحجرة ، تذكرت كيف كانا لا يحسان بردا ، وهما ينامان جنبا الى جنب فى نفس الموضع الذى ينام فيه هشام الان ، وتذكرت الكلمة التى قالها وهـــو يحتضر ·· ان السعادة تتمـــــطى يا بثينة فى احشائك ·· حقا لقد كانت سعادة فقد اسعدها ابنها هشام بما لم تسعد به فى حياتها كلها سعدت بما يغدق عليها من حبه وبره ، وبمـــا يستشعر من راحة حينما تراه يعمل فى صدق واخــــــلاص وبما تحس به منه حينما تشاهد مكانته فى القرية واهلهـــــا والعاملين فى مشروع الشيخ العلايلى ··

سعادة ما بعدها سعادة لولا الذكرى السوداء تقف كالغصة متوارية فى كهوف نفسها ·· انها ذكرى ابنها الثانى تـــوأم هشام ·· ترى هل احسنت صنعا حينمااعطته للوجيه حسن ؟ ترى كيف هو الآن هل يتمتع بشبابه وبحياته كما يتمتع اخوه هشام متعة الحياة ليست فى اللذة العابرة العارضة ·· وانما هى في الصحة في المجد في الشرف في الاباء في العفة والنزاهة والكرامة، تراه يتمتع بكل هذا ، ياترى ما أسمه وكيف ملامحه وشكله ، انه لاشك كهشام شكلا ، وقامة ، وجسما ، ولكن اسمه حتما سيكون غير هشام ··

ليتها تستطيع ان تسافر الى المدينة وتزور بيت مخدومها الوجيه حسن لترى ابنها ٠٠ لا ٠٠ لترى ابنه فليس من طبعها العربى وكرمها الموروث ان تنسب الى نفسها ما وهبته ، ولكن الابن فلذة من كبدها جزء منها ، مهما كان فهو منها ، وهى منه ولو وهبته٠٠هل يستطيع انسان ان يقتطع يده ، ويهبها لغيره ثم يقول انها ليست يده ٠

وفجأة سمعت ناهدا تقول :

ـ أم هشام هل غفوت ٠٠ ؟ انك في وضع غير مريح قومى الى مضجعك سأسهر بمفردى بجانب هشام ٠٠

واجابت بثينة وهى تعتدل فى جلستها ٠ ٠

ـ لا ٠٠ ينبغى ان تأخذى يا ابنتى انت قسطا من الراحة فقد امضيت ليلتك الماضية ساهرة بجانب امك وقضيت نهارك دون ان ينعقد لك جفن ٠٠

ـ وانت كذلك يا أم هشام ، ولربما كنت اكثر ٠٠ تحملا منك للسهر والضنى بحكم سنى ، فقومى الى مضجعك ٠

ـ جزاك الله خيرا يا ابنتى ٠٠

ثم قامت بثينة تلتمس الراحة فى مضجعها بحجرة ملاصقة للحجرة التى كانت فيها ٠٠

ولم يمض وقت طويل حتى استغرقت فى احلامها ·· أمـــا ناهد فقد جلست تذود النوم عن مقلتيها بالتحديق فى وجـــه هشام ، وهو مستلق على ظهره واضع احدى يديه على صدره والاخرى فوق الضماد الذى يلتف حول رأسه ·

اخذت ناهد تحدق فيه ، وكلما امعنت فى التحديق شعرت باغراء غريب يدفعها الى لمسه لم تستطع مقاومته ·

وكمن يريد ان يختلس شيئا مدت كفها التى اخذت تهتز تحت عوامل الانفعال ووضعته على جبينه ، قد كانت الكـــف باردة كقطعة ثلج فما كادت تستقر حتى فتح هشام عينيه ، ونظر اليها ، وقد فوجئت باستيقاظه فلم تحرك ســـــاكنا ، وتركت كفها تتوسد جبينه ، تستمد منه دفئا ، ويستمد منها برودة تكسر من حدة الحرارة اللاهبة ··

نظر اليها هشام يحدق فى عينيها ، وتحدق فى عينيه ·· ولم تستمر بل اغضت عنه رغم المعانى الكبيرة التى ارتسمت فى صفحة العين ، واخذت تصرخ ضاجة بحبها لهشام ، ولكن هشاما لم يفقه شيئا من تلك المعانى فظل جامدا لا يرفع نظره عنها ، وظنت انه ينتهرها بنظراته لتصرفها المزعج واحست

ان ليس فى وجدانه اى تجاوب فسحبت كفها من جبينه فــى هدوء الثعبان حين ينساب على كثيب من الرمل وآلمها أن لا تجد تجاوبا عنده فتسارعت الدموع الى مآقيها وتعلقت دمعة فــى شكل لؤلؤة كبيرة على حدقتها ..

لاحظ هشام تلك الدمعة المتعلقة التى ابت ان تفسح للدموع طريقها الى خدها .. فقال لها :

ـ ناهد .. خففى اللوعة ، ولا تــدعى للحزن سبيلا الى نفسك ، فان موت امك لن يفقدك السعادة التى كنت تتمتعين بها فى كنفها ..

واجابته وهى تلتقط الدمعة بكفها ..

ـ لقد كان مصابى بأمى فادحا لاننى فقدت بفقدها اخــر انسان استطيع اللجوء اليه فى هذه الحياة .. ومن لى ياهشام بمن تنسينى عواطفه متاعبى والامى ..

ـ كلنا لك يا ناهد واطمأنى فان الانسانية متوفرة فــى القرية كلها ، يدل على ذلك سهرك الليلة بجانبى رغم الضنى والتعب والارهاق الذى انت فيه من سهر البارحة ، وعمــل اليوم وفعل الحزن والالم فى نفسك ..

وكانت بثينة ام هشام استيقظت من نومها على صــوت

هشام ، وقد ابهجها ان يتكلم فأخذت تسترق السمع ٠

وواصل هشام كلامه

ـ لولا الانسانية ما كنت اجدك اليوم بجانبى تسهرين ، اى قرابة بينى وبينك ، حتى تضنين نفسك من اجلى سوى قرابة الارض الواحدة ، والدم العربى ، وقرابة الدين الذى آخى بين جميع المسلمين ٠

ليس لى يا ناهد فى هذه الحياة سوى أمى كما ترين ولم يشأ الله ان يرزق أبوى اخا لى أو اختا تسهر بجانبى لتمرضنى وتعنى بى ٠٠

وقد كان لكلمته الاخيرة صداها فى نفس بثينة امه التى كانت تسترق السمع فتلوت فى مكانها حينما سمعته يقول « لم يرزق الله ابوى أخا أو أختا لى » وفرت الدمعة من عينيها واحست بآهة عميقة تنشق عن صدرها وبالدموع تطفر عن مآقيها ، وبكابوس ثقيل يجثم على صدرها ويكتم انفاسها ، ومع ذلك كله حلقت بوجدانها على مضجع ابنها ، وتناست نفسها وراحت فى شبه اغماءة لم تستطع فيه ان تستمع الى ما كان ابنها يقول :

ـ وارجو الله ان يبارك فى حياة امى وفى حياة

اخوتى فى القرية .. انهم أهلى وأهلك يا ناهد فاطردى الحزن جانبا وتذرعى بالصبر وواصلى كفاحك فى الحياة حتى يحقق الله لك ما تتمنينه ..

والتمعت عينا ناهد عند ذلك ببريق سعيد .. ان كل ما تتمناه فى حياتها يضطجع بين يديها ، ولكنه بعيد بقلبه عنها بعد السحاب ..

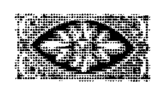
وواصل هشام حديثه بعد أن زفر زفرة حرى ومرر يده على جبينه المضمد ..

ـ ناهد ان الانسان رغم صغر حجمه وقوته المحدودة ، وضآلته أمام بعض ما صنعه من آلات وأدوات ومبتكرات ، فهو كبير ، وكبير جدا بانسانيته ، بقدرته الصانعة بطاقته الفكرية ، بعقله المبتكر ، انك حينما تقفين بجانب احد التراكتورات التى نستعملها لحراثة الحقول ، او تقفين بجانب مكنة من مكنسات الضخ ، ستبدين صغيرة تافهة فى الوقت الذى صنع هذه الآلة الضخمة انسان مثلك تافه بجسمه بقوته البدنية .. ولكنه قوى فى الوقت نفسه كبير ضخم بادراكه ووعيه وانسانيته وتفكيره وتصرفه ، فلا تتركى يا ناهد لليأس سبيلا الى نفسك يعمل بمعوله فى اعصابك ، وتذكرى دائما انك

انسان والانسان فى هذه الحياة كبير دائما كبير حتى مـــن الاجرام السماوية ، من الشمس ، من النجوم ، قوى دائما ·· اقوى من عوامل الطبيعة ·· من الرياح الهوج من المياه الهادرة المكتسحة ، من النار الوارية الملتهبة ··

وما كاد يصل الى هذا الحد حتى لهث كمن قطع مسافة ·· راكضا ، فصمت في استرخاء ، واحتوى الحجرة هدوء لا يشقه الا انفاسه اللاهثة ، وزفرات ناهد المتوثبة ··

وكان الفجر يمزق قناع الليل باصابعه البيضاء عابثا باخنان الدجاج يوقظ الديكة التى تستقبله بصياحها المبتهج ·



الفصل السابع

معجزة الأيمان بالارادة

مضى اسبوعان ولم يبق لنهاية الشهر سوى خمسة ايـــام وقد ظل هشام هذين الاسبوعين طريح الفراش لم يخط عتبة الدار وكان قد تماثل خلالهما للشـــــفاء ٠٠ وبلى الجرح ، واستعاد بعض قواه الجسمية ٠٠

وكان يوم خروجه للعمل يوم فرحة لجميع العمال والمزارعين وموظفى الشركة ٠٠

واول عمل قام به عند خروجه هو زيارته للشيخ العلايلى فى داره ردا لزياراته المتكررة له ، ثم زار بعض موظفى الشركة

ومن بينهم « ابو جرس » وقد كان ممن يعودونه اثناء مرضـــه

وهناك فى مكتب ابى جرس اتصل به الشيخ العلايلى يخبره ان خبيرين من خبراء الزراعة والشئون الاجتماعية اوفدتهمــا الحكومة الى القرية للتعرف على احوالها الزراعية ونشاطها .. الصناعى وشئونها الاجتماعية ، وتقديم الخدمات والمساعدات والنصائح الفنية اللازمة للمزارعين ، والقريـــــــــة سيصلان عصر ذلك اليوم ، وطلب من هشام ان يكون مستعدا للقائهما ، ومرافقتهما ليرشدهما على ما يودان الوقوف عليه ، ويجمع بهما المزارعين والقرويين .

وزار هشام فى ذلك اليوم ناهدا فى بيت الطبيب وتلطف معها فى الحديث يعرب لها عن امتنانه ، وشعر وهو يودعها بأن ثمة علاقة نفسية تشده بها لم يستطع ان يتعرف على كنهها فقد بدت فى اعماق النفس كوميض نار راقدة تحت تل من رماد التمع فجأة ينير زواياها بنور خاب كوصوصة النجوم فى ظلام ليل دامس ..

وبعد العصر من ذلك اليوم اقبل الخبيـــــــران واستقبلهما الشيخ العلايلى وهشام عند مشارف القرية ثم قاداهما الى القصر ليرتاحا ليلتهما هناك ..

وقد أدب لهما الشيخ العلايلى مأدبة عشاء دعى اليها اعيان القرية وبعض المزارعين حيث تعارفوا بالخبيرين ..

ولما انفض الجمع اوصى الشيخ العلايلى هشاما بالبكور اليهما ليأخذهما فى جولة على مزارع القرية ومصانعها وطرقها ويقف بهما على السدود التى اقامتها شركة العلايلى لصـــــد عاديات السيول والامطار ..

وبات هشام ليله هادئا ، وعند الفجر وافى قصر الشـــيخ العلايلى ليرافق الخبيرين فوجدهما فى حديقة القصر يحتسيان شاى الصباح ويتحدثان فى أمور الزراعة والشئون الاجتماعية وكان الخبير الزراعى يتكلم حينما اقبل اليهما هشام يحييهما بتحية الصباح التى رداها اليه با حسن منها .. واشارا اليه بالجلوس معهما فجلس يستمع الى الخبير الزراعى الـــذى وصل ما انقطع من حديثه :

ـ صحيح ان اكثر باديتنا وقرانا لم يخط التطورفيه خطواته الطافرة التى خطاها فى المدن ، ومع ذلك فان هذه القرية مـن القرى التى صادفتها معجزة حتى بلغت ما بلغته من تطور ..

ان حاصلاتها الزراعية من بر وشعير وخضروات كما دلـت الاحصاءات استطاعت ان تحتل حقول الاكتفاء الذاتى فى بلادنا

فى سجلات الاحصاء ٠

عندئذ اجابه الخبير الاجتماعى :

ـ المعجزة التى صادفت القرية يا استاذ هى معجزة الايمان بارادة الفرد ٠٠ الايمان بالطاقة البشرية ، ولولاه لظلت القرية ترزح فى كنف التأخر والبدائية ٠

هل يتصور عقلك انفردا واحدا مثل الشيخ العلايلى يستطيع تحقيق كل هذه الاعمال ، ويفجر كل هذه الخيرات فى قرية نائية عن المدينة ٠٠ أرأيت الطريق انه شق بين عشرات الجبال والتلال ، شقه الايمان والعزيمة والارادة التى لا تكل ٠

وقاطعه الخبير الزراعى ٠٠

ـ صدقت ان الايمان بالارادة والثقة بالنفس عاملان من اهم عوامل النجاح ، ولكن لا تنس ان لطبيعة الارض وجودة ترابها الفضل فى كل ما تحقق من معجزة ، ومن طبيعة الارض الماء ووفرته، فهناك مئات الكيلومترات من ارض بلادنا الحبيبة تتلظى تحت اشعة الشمس المحرقة ، متلهفة الى قطرة ماءترطب بها وجهها المحترق ، فلا تجدها ٠٠

واجابه الخبير الاجتماعى :

ـ مهما يكن فان الارض المجدبة يمكن انعاشها لو تضافرت القوى ، فهناك من الوسائل العلمية ما يجعل من هذه الاراضى جنة •• فقط •• كل ما نحتاج اليه هو الايمان بواجبنا نحو بلادنا كمواطنين أظلتنا سماؤها ، وحينما يصبح كل ثـــرى وغنى فى بلادنا شيخا علايليا ، فمن المحتم اننا سنكتفى ذاتيا ونمنع الاستيراد •• وننعم بخيرات بـــــلادنا ، ونستخرج ثرواتها •• ونستدر ربحا ماديا ربما كان مضاعفا عن الارباح التى نجنيها من السلع المستوردة وان لم تكن الارباح مضاعفة فلا اقل من أن نوفر عملة صعبة •• يمكـــن استغلالهـا فى مشاريع حيوية ••

التجار فى بلادنا ألفوا الربح المقرر المقنن الذى تحتضـــنه السلع المستوردة • ولكنى أؤكد انهم اذا استطعموا طعم الارباح التى يجنونها من مثل هذه المشاريع التى عنى بها الشــــيخ العلايلى فحتما سينصرفون عن الاستيراد •• لان هذه الارباح لها طعم يزيد من لذتها طعم العرق المبذول من اجلها •

وهذه القرية تعطينا ايضا فكرة عن مدى قدرة مزارعيـــنا وفلاحينا على استغلال الارض ، وتعطينا فكرة عن استعدادنا •• الفطرى للعمل المنتج المثمر ••

ان مبدأنا الاسلامى الذى يجرى مجرى الدم فى عروقنا ..
يجعلنا بعيدين عن أى انتكاسة تتسبب فيها التطـــــويحات المبدأية ..

ديننا الاسلامى يقينا شر الانتكاسة لما فيه من مقاومة طبيعية لكل ما من شأنه تخطى الفطرة البشرية ، وتعدى الحـــــدود الطبيعية للانسان ..

هنا فى هذه القرية يعيش الفلاح الاجير الذى لا يملك مترا واحدا بجانب الفلاح المالك الذى يملك عشرات الافدنة مـــن الارض دون ان تحس بأى فارق اجتماعى بينهما ، وكلاهما يقتسمان حقهما الاجتماعى بالسواء .. الفلاح الفقير يا سيدى ينال من الاحترام ما يناله الفلاح المالك .. بل مثل ما ينالـــه الشيخ العلايلى الذى يؤجرونه ارضهم وقواهم وجهدهم ..

فمجتمع يحس بالتآخى والمساواة فى الحقوق الاجتماعيـــة خليق به أن يتقدم ، ويتطور والتآخى والتآلف والتعـــاون اساس من اسس ديننا الحنيف .

الطبقات التى يحاول بعض المذاهب الوضعية الحديثـــة اذابتها باشعال نار الحقد والبغضاء بينها استطاع الديـــن الاسلامى ان يؤالف بينها ويربطها برباط التعاون والتآخى .

الاحترام السائد بين الطبقات هو كل ما يهفو اليه الانسان وأنا وأنت والاخ هشام لا نحقد على بعضنا لشيء واحد لاننا نحترم بعضنا ونجل بعضنا ولا نهين بعضنا مهما كان فارق الثراء والعلم والمعرفة ذا ابعاد متفاوته ٠

ولا ادرى لماذا تجعل المذاهب الوضعية التفاوت المادى والغنى والثراء قياسا يقيسون به الفوارق الطبقية ٠٠

هل المال هو كل شيء فى الحياة ٠٠ هل المال هو العلم ، هل المال هو الاخلاق ، هل المال هو الحب ٠٠

وما جدوى المال اذا كان العلم ميسرا لصاحب المال ولغير صاحب المال ، والعلاج متوفرا لهذا وهذا ، والاحترام والجاه ٠٠ مكفولين لكليهما ٠٠

ليس المال كل شيء ، وان التقوى التى جعلها الله اساسا للحياة هى القياس النموذجى الذى ينبغى ان نقيس به كل شيء فى حياتنا الاجتماعية ٠

ان المال لا يحمى صاحبه من الاثم والجريمة ، لا يمنعه من الزنى ، من أيذاء الغير ، من الفسوق ، والفجور ، وانما يمنع الانسان من هذا كله التقوى ٠٠ ذلك المقياس النموذجى الذى

وضعه الله لنا .. فمتى قسنا به اوضاعنا فى الحياة عشنا فى سلام وطمأنينة ..

وكان هشام يستمع الى حديث الخبير الاجتماعى بكل جوارحه لا تكاد عيناه تطرفان خشية ان تفوت عليه طرفتهما شيئا من حديثه ، وقد بدى على ملامح الخبير الزراعى بعض مخايل الاقتناع بحديث زميله اكده بقوله :

- ان حديثك ممتع ، وانى اضيف الى ذلك ان الايمان كما قلت يستطيع ان يأتى بالمعجزات الايمان بالارادة الايمان بقدرة الله ولا يعزز الايمان شيء مثل التعاون والتآخى .. بالايمان نستنبت الارض المجدبة ، وبالايمان نعتصر خيراتها ..

ان هؤلاء القرويين الذين استطاعوا ان يجعلوا من هذه القرية جنة ومصنعا للخيرات هم احفاد اولئك الذين غزوا بايمانهم آفاق الارض واطاحوا عروشا كانت تناطح بهاماتها السحب ، وليس غريبا منهم ان يحققوا هذه المعجزة والغريب .. ان لا يحققوها ، نعم ينبغى ان يأتوا بالمعجزة ، لانها من طبيعتهم المؤمنة ..

يا صديقى اننى اتمنى ان يخرج الله لنا آلاف العلايلى من

مواطنينا ، فالعلايلية باخلاصهم للبلاد سيقصرون المسافة والزمن امام ركب التطور والنهضة الزراعية والصناعية التى تسير بلادنا اليوم فى طريقها ..

فى هذه الاثناء اقبل الشيخ محمد العلايلى وبعد ان حياهم وجه حديثه الى هشام :

ـ هل تجولت مع الاساتذة فى القرية .

واجابه الخبير الزراعى ..

ـ لقد سرقنا الحديث، ولولا مجيئكم لظللنا نتحدث ونتحدث وهو حديث شائق ، أليس كذلك يا هشام ؟

ثم هبوا جميعا يخرجون من الحديقة الى حيث تقف سيارة هشام التى تقلهم فى الجولة ، وقبل ان يستقلوها اعتذر الشيخ العلايلى عن مرافقتهم لانه ينتظر وصول اهله الذين ابرقوا اليه بذلك ، ومعهم ابنته التى اتت من لبنان بعد تخرجها من الجامعة .

❖ ❖ ❖

لم تستغرق الجولة طويلا فقد استطاع الخبيران ان يقفا على كل ما اراداه قبل الظهر ثم عاد بهما هشام الى قصر العلايلى ليغادرا القرية بعد تناول الغذاء .

ومضى هشام يكمل عمل نهاره ، وقام بجولته الليلية المعتادة قبل أن يأوى الى مضجعه تلوب فى ذهنه افكار شتى ابرز مـا فيها الاحاديث التى سمعها من الخبيرين، وصورة ناهدووفاؤها له والبريق الذى يلتمع فى عينيها كلما اجتمعا معا فى طريـق عابر ٠٠

وكانت ناهد تتمثل له فى كل ما يدور من المعانى فى ذهنه تمثلت فى الاخاء الذى تحدث عنه الخبيران وفى التقوى وفى التعاون وفى الحب ٠

وعند ما استيقظ صباحا كانت ثمة رواســـب فى ذهنه من الافكار التى نام ليله معها ، واحتوتها احلامه ، واحس أنه عاش حياته كلها مع هذه الافكار وانها انبعثت من اعماقـه وليس فيها جديد خاف عنه ، وان ناهدا جزء منه ، من حياته عاشت معه ماضيه ، فى عالم العدم قبل وجوده ، وقرر فيما بينه ان يختلس وقتا من نهاره ذلك يزورها فيه، ولكن الزيارة بدون ما مبرر ستكون ملفتة لها ولاهل البيت الذى تعمل فيه وراح يعمل تفكيره لايجاد مبرر يبرر زيارته لها ٠

ان مراجعة الطبيب وقت راحته فى بيته مبرر طبيـــعى

لزيارتها ولكن فيم يراجع الطبيب وصحته على احسن ما يرام وصحة امه وهنا تبادرت صورة امه الى ذهنه ، انها فى صحة جيدة ولكن سحابة من الحزن تقنع ملامحها دائما وتلفها فـــى لون كئيب معتم رغم ان كل ما حولها يدعو الى الانشراح ٠٠ فحياتها رغدة ، وابنها يغبطه كل اهل القرية ، والموظفـــــون الذين جاءوا من المدينة ووسائل العيش ليست ميسورة سهلة فقط بل تكاد تصل الى حد البذخ والترف ٠٠ اذن ما سر هذه الكآبة والحزن الذى يبدو على محياها ، ربما كانت تعانى مرضا تحاول اخفاءه عنه ، ولا بد ان يستخلص هذا السر ، واذا تحقق من انها مريضة فان ذلك ما يدعوه الى استشارة الطبيب وبالتالى زيارة بيته وناهد ايضا ٠

وكانت امه قد استيقظت قبله بوقت طويل ، اعدت خلاله طعام الافطار ، وما لبثت ان نادته ليتناول الطعام ، وقد قطع نداؤها افكاره ،

وعلى مائدة الطعام سألها :

ـ أماه انى الحظ شيئا من الكآبة والحزن يخيم دائما عــلى محياك فهل تشكين من مرض أو ألم ٠

وارتاعت بثينة لقوله ، وقطبت حاجبيها كأنما تضغط بهما على خناق الحزن ثم قالت :

ـ لا شيء في جسمي يؤلمنى فاننى والحمد لله على جانب كبير من الصحة ، وليس بى أى ضرر يؤذينى ..

ـ اذن يا اماه ما سر هذه الكآبة هل فى نفسك أمر تتألمين منه ، او انت قلقة على المستقبل فتفكرين فيه ، لقد سمعتك تضرعين فى دعواتك الى الله بان يعيده اليك فمن هو هـــذا الذى تريدين الله ان يعيده اليك .. هل هو ابى ؟ ولكـــن ابى قد مات ، ام هو اخ او قريب لك ؟ ولكنك لم تذكرى احدا من هؤلاء بما يشير على وجودهم ، فمن ياترى هذا الذى تترقبين عودته .. ؟؟

ومادت الارض ببثينة واحتقنت محاجرها بالدموع فحولت رأسها عن ابنها الذى يتطلع اليها لتجفف دمعة تساقطت منسابة واستعصى عليها تجفيفها لتتابعها فقالت بصـــــوت تخنقـه العبرات :

ـ لقد كنت ادعو الله ان يعيدك الى ، يعيدك انت فقد هز كيانى الاصابة التى تعرضت لها .. انك كنت تهذى يا هشام فى نومك يوم اصابتك بما يؤلمنى ..

ولاحظ هشام من قولها ان هناك سرا لا تود ان تبوح بــــه فلم يحاول اقسارها عليه لذلك قال لها :

ـ اننى خشيت عليك من مرض تكتمينه عنى لكى لا تؤلميننى وما دمت لا تشكين مرضا فاننى سعيد جدا بك ، ولعــــــل ما الحظه فى ملامحك من مخايل الحزن مجرد اوهام ٠

وظهر الصدق الفطرى فى ملامحها فجأة حينما قالت :

ـ ليس فى ملاحظتك يا ابنى أى أوهام ان الحزن سيظل عالقا فى ملامحى ما حييت فتلك خلة ارادها الله لى فى حياتى واصبحت جزءا من طبيعتى بعد وفاة والدك بشهور ٠٠

ولم يفقه هشام شيئا من قولها وظن انها كئيبة لذكراها الماضية ٠ موت والده ٠٠

❖ ❖ ❖

خرج هشام للعمل يمر فى طريقه على الحقول يتفقد الفلاحين ويتفقد العمال فى مصانعهم ، والموظفين فى مكاتبهم يلازمــــه طيف ناهد فى كل خطوة يخطوها ، ويتوقع رؤيتها بين حين وآخر ، مارة فى الطريق ، او عابرة على احد بيوت الفلاحين ولم يتحقق ما توقعه ، واخذ الطيف يتجسم فى مخيلته يبعث فى نفسه رغائب وجد ذاته امامها مقسرا على البحـــث عنها ، ورؤيتها مهما كلفه الامر ٠

فاستقل سيارته موهما من حوله ان يتفقد اطراف القرية والمزارع هناك ، وتعمد ان يكون طريقه نفس الطريق الـــذى تشرف عليه دارة طبيب القرية، ومر بالدارة فوجدها هادئـة ساكنة كانها مقفرة من السكان ، وقد تلكأ بالسيارة لعله يرى ناهدا خارجة منها او داخلة اليها ، او واقفة على شرفة مــــن شرفاتها أو مطلة من نافذة ، فلم يقع لها على أثر ، وهم أن ينزل من السيارة ويقرع جرس الدارة ، ولكنه تردد لعدم وجود مـا يبرر مجيئه الى هناك ٠٠

ومضى فى سبيله يجتر خيبة لها مرارة فى اعماقه ، مـضى مستسلما للهواجس ، يتحدث مع نفسه ، يناهضها نزعتهــــا الغريبة التى لا عهد له بها حينا ، ويسترخى فى كفها الناعمة المدغدغة لاحساسه حينا آخر ، وبينما هو كذلك اذ سمع صوت سيارة مقبلة من نفس الخط الذى يسير عليه ، وكانت لبعدها غير ظاهرة وما فتئت ان ظهرت هابطة احد التلال ، ولما ان كان ذلك الطريق لا يطرقه طارق الا لماما لعدم تعبيده توجس من السيارة المقبلة خيفة فاسرع اليها ووقف معترضا لها فـــى الخط ، ووقفت السيارة على قيد ذراع من سيارته ٠٠ وكانت

من طراز ممتاز يوحى بان صاحبها على جانب من الاناقة والذوق وذهل حينما وجد أن سائق السيارة فتاة فى مثل سن ناهـد انيقة تلبس « بنطلونا » احمر فاقعالونه ، وقميصا ابيض بلوريا رقيقا تتماوج على صفحته لون جلدها الذهبى ، وقد عبـــث الهواء بشعرها المصفف على نسق بديع فالقى بخصله نافرة منه الى جبينها المضىء ولم تلبث الفتاة ان هبطت من السيارة ، ودنت منه صائحة :

ـ ما هذا ٠٠ يبدو انك لم تزل تلميذا فى مدارس قيادة السيارات ٠٠

واجابها فى هدوء مفتعل ، وبصوت تكاد المفاجأة تفضحه :

ـ يبدو كذلك ٠٠ رغم ان لى اكثر من خمس سنين منذ ان قدت اول سيارة ٠٠

ـ فقالت فى سخرية حاولت ان يكون فيها لذع مرير ٠

ـ ومع ذلك فان وقوفك فى وجه سيارتى رغم صوت المنبه الذى اطلقته يدل على انك تقود دائما اول سيارة حتى بعد مئة عام :

واحس بلذعة السخرية ٠٠ فاجابها فى حدة ٠٠

ـ انى اقود أول سيارة كلما واجهنى مقتحم يدخل قرينى من الطريق الخلفى ، او لص مختلس ..

ـ واحمر وجه الفتاة ، وظهر الانفعال واضحا فى ملامحها حينما قالت :

ـ اهكذا كل سكان هذه القرية غير مهذبين ؟

ـ هم مهذبون مع المهذبين ، ووقحون مع الوقحين ..

ـ يبدو انك اوقحهم ..

ثم استدارت واحتلت عجلة القيادة فى سيارتها منفعلة وقالت :

ـ تنح يا هذا عن الطريق ..

فاجابها فى برود

ـ يمكنك العودة الى حيث اتيت لانه غير مسموح لاى اجنبى دخول القرية الا باذن من صاحب الشركة ..

ـ قلت لك تنح عن الطريق سادخل القرية ..

ـ على رسلك .. فقد قلت انه غير مسموح ..

ـ مسموح او غير مسموح .. سأدخل القرية .

ـ ستدخلينها باذن الشيخ العلايلى ، او بعد معرفة هويتك .

ـ وما شأن القرية بهويتى ..

ـ تلك عادة عربية لا يستضيف العربى الا من انتسب له او عابر سبيل ، ولست عابرة سبيل كما يبدو عليك ٠

وبدى عليها شيء من اليأس فاستدارت بالسيارة عائدة دون ان تجيبه ولكنه صاح بها :

ـ هل من خدمة يا آنسة

فالتفتت اليه تجيبه فى مرارة :

ـ ارجو الله ان لا يحوجنى الى أمثالك ٠

ثم ضغطت على زر الوقود فهدرت السيارة مندفعة كالطلقة ووقف هو يتأملها حتى غابت ٠

وفى صباح اليوم التالى ٠٠ وقبل ان يخرج من بيته وافاه بعض خدم الشيخ العلايلى يطلب منه الشخوص الى قصره ٠

وفى القصر استقبله الشيخ ببشاشته وترحابه المعهودين فيه ، واجلسه بجانبه يلاطفه شأنه كلما اجتمع به ثم قال له :

ـ لقد اخبرتك يوم رافقت مندوبى الحكومة الى القرية بانى انتظر اهلى وابنتى ، وفعلا وصلوا يومذاك ، وكم كنت اود ان أقدمك اليهم بعد كل ما اخبرتهم به عنك ٠

ولا احب ان اكرر بانك بمثابة ابنى لذلك ليس هناك حرج

فى أن يسفر اهلى أمامك فهى فى مكانة امك منك ، أما ابنتى فهى اختك اضف الى ذلك انها من الفتيات اللاتى لهن ميــول لمشاركة القرويين حياتهم الخالية من التعقيدات التى تعرفهـا المدنية ، ولم اشأ ان اعقد حياتها لذلك تركتها وشأنها •• فهى عاقلة متعلمة •• تدرك مصالحها الشخصية ، وقد احبت القرية منذ وصولها فتجولت على اطرافها ، وطلبت منى اليوم ان تتجول فى القرية ، ومزارعها ، وحقولها فاستدعيتك لترافقها •• كل ما ارجوه منك ان تكون لها الاخ الشقيق الذى لم يرزقنيه الله من صلبى :

ودخل الخادم فى هذه الاثناء ليقول :

ــ ان الآنسة « الفت » تنتظر السيد هشام فى الحديقـــة لتصحبه الى القرية كما امرت ••

ونهض هشام يستأذن الشيخ العلايلى ، وفى الحديقـة رآها واقفة تطارد فراشة اخذت تقفز من غصن الى غصن وقد احست بخطواته فرفعت عينيها اليه فى الوقت الذى كانـــت عيناه مصوبتين نحوها ، وتلاقت الاعين ، وكانت فى بريقهما معان انعكست على تصرفات كليهما •

جمدت الفت فى مكانها كانما الم بها ما يصعقها اما هشام فقد ارتطمت ساقاه ببعضهما فتلعثم خطوه ووقف غير بعيد عنها مطرقا ..

وكان اول من استعاد جأشه الفت فقد سمعها تقول :

ـ هل استأذنت احدا قبل أن تدخل الى هنا يا حارس القرية الامين ؟

وشعر بما فى لهجتها من تعريض بموقفه معها بالامس ولكنه تجاهل ذلك بقوله :

ـ لقد جئت بامر سيدى الشيخ العلايلى ..

ـ وهل سيدك هنا فى الحديقة ..

ـ لقد قابلته وامرنى بمرافقتك الى القرية لتتجولى فى مزارعها ومصانعها ..

وهمت ان ترد عليه ، ولكنها لمحت اباها قادما فامسكت عن الرد ، حتى دنى الشيخ منهما قالت :

ـ لعل هذا السيد يا ابتى هو هشام ؟

وفطن هشام الى ما فى الكلمة من استخفاف ولكنه تصامم الا ان الشيخ العلايلى اجاب ابنته .

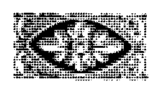
ـ انه اخوك يا الفت ، اخوك الذى لم تضعه امك انه الذى

شد ازر ابيك فى شيخوخته ، وبجهده نجح مشروع الشركة وكان من واجبى ان اعرفكما ببعض ولكننى اعتمادا على ما اخبرت كل منكما عن الاخر ، تساهلت فى هذا الواجب ..

ثم توسط بينهما والتفت الى هشام قائلا :

ـ يا ابنى يا هشام هذه اختك الفت .. وانت يا الفت هذا اخوك هشام ..

وتقدم هشام اليها باسطا كفه ليصافحها فمدت اليه كفها مصافحة .. وتعانقت الكفان فى مصافحة لم تطل فقد سحب كل منهما كفه كانما لمسا بها جمرة نار .



الفصل الثامن

المؤامـــرة

شاهدت القرية بعد ذلك اليوم اياما نضرة فقد نشط هشام نشاطا ملحوظا ، وكانت الفت تصحبه اكثر اوقاته نهارا وتقضى بعض فترات من الليل بداره او معا فى حلقة من حلقات السمر بساحة القرية ، او فى قصرها مع بعض الموظفين وشباب القرية

وكانت ناهد احيانا تشاركهما السمر رغم ما تحسه من فتور علاقتها بهشام وكان يرضيها ان تراه سعيدا هانئا فتتحدى عواطفها ، وتخنقها فى وجدانها ٠٠

وذات ليلة وبينما كانوا يسمرون فى القصر اقبل الخـــادم يعلنهم قدوم عصام ابن عم الفت فهبوا جميعا يستقبلونه ••

ودخل عصام على اعقاب الشيخ العلايلى الى حيث كانوا ثم تقدم يصافحهم فردا فردا والشيخ العلايلى يقدمهم اليه حتـى اذا صافح هشاما قال له :

ـ ابنى هشام •• مدير الشركة ••

فاستدناه عصام منه وعانقه فى حرارة ثم تقدم الى الفـــت يصافحها

فقال الشيخ العلايلى :

ـ انها الفت يا عصام لقد كان عهدك بها صبية تلهو ، وهى اليوم عروس كما ترى :

جلس عصام بين المجموعة يجاذبهم الحديث وكان فتى مرحا مكتمل الشباب دمث الخلق •• مهذب التعبير ، ولولا بعض طراوة المدنية ، وليونتها لما كان هناك اختلاف كبير بينه وبين هشام فى الشكل والطبع ••

ولاحظت ناهد ان عصاما رغم ما يبديه من تودد لهشام فان نظراته لا تكاد تنقطع عن الفت رغم اعراضها عنه •• وتلهيها

وانفض السامر ، وعاد هشام الى القرية بسيارته ومعه ناهد التى اعتادت ان تعود معه فى مثل هذه الظروف

وفى الطريق سألها ..

ـ ما رأيك فى عصام ؟

واجابته فى سذاجة اهل القرى ..

ـ شاب لطيف ، ولكن لم تعجبنى نظراته النهمة التى .. يوجهها الى الفت بين حين وآخر ..

وأجابها فى خبث .

ـ وماذا يهمك من نظراته اليها طالما انها ابنة عمه وربما كان زوجها مستقبلا .

وبنفس تلك السذاجة اجابته :

ـ ولكنها تنفر منه ، وتعرض عنه ، ويبدو لى انها تميل اليك اكثر منه ..

واحس بما فى قولها من ستكناه لحقيقة ما يدور بخلده فقال لها :

ـ لعلها تميل الى بحكم الاخاء الذى بينى وبينها ألم تعلمى ان اباها آخى بيننا ..

ولكن تصرفاتها معك تتعدى حدود العلاقة الاخوية التـــى تعرفها ..

ثم مطت شفتيها واستطردت :

ـ وما يدرينى لعل للاخاء عند الحضر واهل المدينة حدودا غير التى نعرفها ونألفها ..

وشعر هشام بأن صوتها يكاد يختنق ولولا الظلام الـــذى يلف فى وشاحه الاسود كل شيء لرأى تلك الدمعة التى التمعت فى مآقيها .

* * *

ومرت الايام ناعمة رخية ، لم يمض يـــوم منها دون ان يتلاقى هشام والفت فى القرية او حلقات السمر او فـــى القصر .. وذات يوم كانا يجلسان معا فى مكتب ابى جرس وقد كان المكتب .. مرتادا لهما يرتاحان فيه بعد الجـــولات التى يقومان بها معا للاشراف على العمل فى المصانع والمزارع وكان ابو جرس يخفى حقده على هشام ، ويتودد اليه باحاديثه الخفيفة المرحة .. وبينما هما جالسان فى مكتبه دخـــل عصام يحييهم ، ثم اخذ مكانه بين هشام والفت غير انـــه لاحظ ابتعاد الفت بمقعدها عنه فى حركة ارادت ان تشعره

انها تفسح له الموضع بينهما ، ولكنها استطاعت بالحركة ذاتها ان تدنو بمقعدها من مقعد هشام ، وتلتصق به ، ولم يفت عصام ملاحظة ذلك ولو انه تجاهله ، واشترك ثلاثتهم فى الحديث مع ابى جرس ، وكان يدور حول ارباح الشركة واعلان الشيخ العلايلى بجعلها شركة مساهمة محدودة لكل فرد من سكان القرية حق المساهمة فيها ..

قال عصام :

ـ والحق ان عملا كهذا يدل على اخلاص صاحبه لبلده وامته .

واجابه هشام :

بمحادثة هشام ..

ـ ليس اخلاصا فقط يا عزيزى بل انه يدلل بهذا العمل على مدى ما يتمتع به من وطنية وحب لبنى وطنه واخوته فى الدم والدين ..

اتعلم اننا باستقراء السجلات الآن اتضح لنا ان الارباح بلغت اكثر من نصف مليون ريال ، وهو حق من حقوق الشركة التضامنية التى لا يشترك فيها سوى ابيك وعمك .

وقاطعه عصام :

– ان ابى ليس له فى رأس المال الا جزء يسير فقط

ومضى هشام يتمم حديثه :

– تصور مدى التضحية ·· تضحية عمك ، فى سبيل وطنه ومواطنيه ·· انه ضحى بكل هذه الارباح او ازيد قليلا لمصلحة اهل القرية ، صحيح انه بهذا العمل سيضاعف ارباح الشركة بحيث يضمن الربح الكافى له ، ولكنه فى الوقت ذاته يبتغى المثوبة عند الله بعمل جليل كهذا ·· انه عمل خيرى لا يقل شأنا عن عمارة مسجد ، واقامة مستشفى ·· وتشييد مساكن مجانية للفقراء والبؤساء ··

وكانت الفت لا تكاد تحول نظرها عن هشام وهو يتحدث وقد حاول عصام ان يلفت نظرها اليه فقال موجها الحديث اليها :

– وانت ما رأيك يا الفت فيما اعلنه ابوك ؟

ودون ان تحول نظرها عن هشام قالت :

– وهل تريدنى ان امتدح ابى ، الا ترى فيه عدم لياقة بالمتعلمين والمثقفين الواعين ··

ووضح الارتباك على ملامح عصام من هذا الجواب الذى لم ينتظره ، وبان الحرج عليه ، فاسرع هشام يحول الحديث

ليدارى موقف عصام فقال موجها حديثه الى ابى جرس :

ـ محمود افندى هل كان الاقبال على الاكتتاب من جانب القرويين كبيرا ..

وفى حركة مسرحية صاح ابو جرس على احد كتبته :

ـ هات سجل الاكتتاب يا سيد احمد حالا .

وقام الكاتب مسرعا بالسجل ليأتيه به الا انه تعثر فى السلة ووقع على الارض .

والتفت جميعهم الى حيث وقع الكاتب ، وانفجرت ضحكة مجلجلة هازئة من ابى جرس .

واغاظ الكاتب ضحكة ابى جرس فقام يقول له :

ـ اتضحك .. ان راسى كاد يتحطم ..

واجابه ابو جرس ، وما زالت الضحكة الهازئة معلقة على شفتيه ..

ـ صدقت .. كان ينبغى ان نبكى لان رأسك لم يتحطم

وكتم هشام ضحكة كادت تندلق من صدره .. أما عصام فقد عض على كفه يمنع الضحكة من الانطلاقة ، والفت قامت من كرسيها تخرج من الغرفة تحبس الضحكة بقبضتها ، ونسى الجميع ماهم فيه من حديث ، وعاد الكاتب الى كرسيه

حجلا فى حين استرسل ابو جرس فى ضحكاته ..

ولم تلبث الفت أن نادت هشاما قائلة :

ـ هيا بنا يا هشام الا تريد أن نتجول فى المزرعة الشرقية

واحس هشام مدى ما فى دعوتها لـه بمفرده من غضاضة لعصام فقال :

ـ ليكن السيد عصام ثالثنا فى هذه الجولة ، والجـولات القادمة ..

وهم عصام أن يستجيب الا أن لفتـة منه الى ابى جـرس الصقه بمقعده فقد اشار اليه بطرف خفى يستبقيه ، ومـرت فترة صمت بددتها الفت بالالحاح على هشام ..

ومد هشام يده الى عصام ليقوده معه فاعتذر اليه باعمـال هامة تقتضيه البقاء مع ابى جرس .

❋ ❋ ❋

كان الليل يرخى سدوله وكانت السماء صافية الاديم تمرح فى اكنافها النجوم ، فى زهو وخيلاء ..

وكانت الحقول ترقب على ضوئهـا الموصوص مجـون اغصان الشجر والزهور الراقصة على كف نسائم السحـر الرخية ، وبسمة القمر المتساقطة فى كهوف الظلام تلتقطهـا

الارض فى نهم .

وكان كل شىء فى القرية ينام مطمئنا هادئا حتى شخير بعض القرويين قرب الحظائر النائمة كان يبدو مسترخيا مطمئنا الا عصام فقد اقض مضجعه القلق ، وامضه ارق جامح فاخذ يقطع حجرة نومه جيئة وذهوبا ، وهو فى منامته ، وكلما شعر بالرهق وقف على نافذتها التى تواجه نافذة الفت فى الجناح المقابل له من القصر يستنشق ملء رئتيه نسائم السحر المحملة بشذى الازهار وطيوب الحديقة ..

وهو كذلك اذ سمع وقوف سيارة على بوابة القصر ثم عودتها بمجرد هبوط شخص منها تبين فيه صوت ألفت وهى تقول :

ـ تصبح على خير

وقد أدرك أنها عادت مع هشام بعد أن تسامرا فى القرية وبعد لحظات انداح الضوء فى غرفتها المواجهة لغرفته ، وبدت بقامتها على النافذة فى ملابسها التى كانت ترتديها فى مكتب ابى جرس ، وفهم من ذلك انها لم تعد الى القصر الا فى ذلك الوقت المتأخر من الليل وانها قضت نهارها كله وهزيعا كبيرا من ليلها فى صحبة هشام،وراح يرقبهامتلصصا

متواريا ..

انها خطيبته وابنة عمه ، ولكنها لم تبدى منذ أن حل بالقرية أى ميل اليه ، رغم مضى أكثر من ستة شهور ، وقد لفت نظر أبيها الى معاملتها ، ونفورها المغلف فيما تتصنعه من احتشام وتهذيب امامه ، ولعلها تظن انها بما تتصنع تخدعه ، فى حين أنه أدرك ذلك من أول اجتماع بها ..

انه حينما لفت نظر عمه الى كل ذلك قال له فى امكانك أن تكسب ودها بل وحبها متى كسبت ود وحب هشام اخيها وفهم من ذلك أن عمه يعرف الحقيقة ، فى حين أن حبه لهشام وتقديره له يغطيان هذه الحقيقة ويبهمانها فى مفهومه، ولما حاول التقرب من هشام وحاول أن يشترى وده ، وهو مع كرم طبعه ، ودماثة خلقه وطبيعه محتده القروى كان سريع التجاوب معه ، غير أن « الفت » ادركت نواياه فراحت تفوت عليه خططه .. وتهرب بهشام من الاجتماع به ، والخلو اليه ..

لقد فكر فيما فكر أن يصارح هشاما بكل ما فى نفسه وان يرجوه اجتناب الفت ، وكان اجتماعه به اليوم فى مكتب ابى جرس لهذا الغرض ، ولكن الفرصة جانبته ، واستطاعت

الفت أن تحول بينهما ٠٠ لا ٠٠ ان الذى حال بينهما هـــذه المرة هو ابو جرس الا سحقا له ٠

ابو جرس ، انه صديق مخلص ، فقد كان صائبا فى نظرته وكان ينبغى أن لا يفكر فى الافضاء الى هشام بذات نفســـه ليحتفظ بسيادته على هشام وشخصيته أمامه ٠٠

ابو جرس صديق سوف يستطيع أن يستفيد منـــه لانـه اكثر خبرة وتجربة منه فى مثل هذه المواقف بحكـم احتكاكه بهشام واهل القرية وعاداتهم وتقاليدهم ، فيجب أن يكسب الفرصة رغم أن الخطط التى رسمها له ابو جرس يبدو مـن ورائها ظل الانتقام من هشام على حسابه ٠

انه لا يحقد على هشام بل يحترمه ، ولولا وجود الفـــت بينهما لاتخذه صديقا بل اخا شقيقا له ، ان هشاما نبيـــل كريم صادق أمين وهذا لا يعنى انه يطيق التضحية بحبـه ٠٠ وفجأة لفتت نظره حركة على نافذة الفت وقد وجدها فىمنامتها تقف على النافذة تسوى الستائر ، وكان ثمة شعاع فضىلنجمة مرحة فى السماء يتسلل متطفلا على ضوء الغرفة الـذى يغمر جسمها البض النصف عارى ٠٠

والهب المنظر عواطفه فراح يضرب بقبضته طرف النافـذة

كانما يضرب بها صدر هشام ·· سوف يوافق ابا جرس على الخطط ويقضى على سمعة هشام ، بل ويزج به فى السـجن ليخلو له الجو ، ويضع الفت امام الواقع ، ويتزوج منها ·· وليس هو اول من سار فى مثل هذا الطريق ، ان كل مـن أراد أن يصل الى اهدافه لا بد وان يسحق كل عقبة تعترضه، ولـو أدمته ويمزق كل حاجز ولـو تمزق لـه ضميـره

كم من قادة وزعماء فى تاريخ الحياة نصبوا كراسى مجدهم على جماجم رجال ابرياء نبلاء كرماء من امثال هشام ، وشادوا صروح زعامتهم من مزق قلوب ملايين الثكالى والايامى والارامل والايتام ··

ماله وللزعماء فليس هو بزعيم ولا قائد ، انه انسان له هدف واحد فى الحياة هو الاقتران بابنة عمه ، وربما كان هدفه انبل بكثير من اهداف اولئك الذين يسحقون عواطـف الناس ويهينون كرامتهم ، ويبتلعون حقوقهم لنزوة طارئة ، أو اشباع غريزة وحشية فى نفوسهم ·· ان هدفه انبل من هذا بكثير ·· ثم ان هشاما وان كان ضحية الا انه ضحيـة ترعرعت فى كنف خيرات ابيه وعمه ، فلا فرق بينه وبين تلك الشاة التى يعنى بها أى انسان ويربيها ليذبحها ليلة

عيد ، او قربانا من القرابين او يولم بها وليمة ، سيذبح هذه الشاة على مذبح وليمة اقترانه بابنة عمه ٠

وصك اذنه وقتئذ صوت اغلاق نافذة الفت فاغلق هو الآخر نافذته واوى الى فراشه يحتضن خطط الانتقام من هشام مع احلامه ٠٠

× × ×

بوغت عصام بابى جرس فى القصر ضحى اليوم الثانى ولم يكد يستقر به الجلوس حتى بادره قائلا :

ـ عصام اننى اخشى أن تأتى الفت الى هنا فقد صادفتها فى الحديقة وانا داخل اليك ٠

ـ الفت ٠٠ ليتها تأتى ، ان ذلك أمنية من الأمانى ٠

ـ أوه ٠٠ أولم تزرك ولا مرة ؟

ـ لم تزرنى الا مع هشام ٠

ـ يا لقحتها ٠٠

ـلا ٠٠ يا ابا جرس٠ قدتكون معذورة، ومن تكامل الشخصية ان لا تكون خدوعا ، وهى بتصرفها الصريح الواضح ونفورها منى تجتذبنى اكثر فالصراحة والوضوح من تمام جمال المرأة وكماله ٠٠

ـ هأ ٠٠ هأ ٠٠ أى صراحة واى وضوح تتحدث عنهمـــا يا سيدى ، امن الصراحة والوضوح ازورارها بهشام عنك كلما اردت الدنو منه ، وكسب وده ، أمن الصراحة والوضـــوح انفرادها به فى الغابة احيانا ، وخلف اشجار الحقول الباسقة أمن الصراحة والوضوح خروجها من القصر بحجة التعاون مع هشام فى الاشراف على الاعمال بالمصانع ثم انزواؤها معه بين الآلات فى المصانع ، والخمائل فى الحقول ، من يا ترى كان المعين له على هذه المهمة قبل ان تأتى الفت الى القرية ٠٠ ؟؟ يبدو لى فى تفكيركم ايها المتعلمون فى الخارج نوعا من البلاهة او قل السذاجة احيانا ٠٠

اين الصراحة واين الوضوح ياسيد عصام فى هذه التصرفات وهل الحب يعرف الوضوح والصراحة الا فى مواطنه ومع المحب فقط ٠٠ قلت لك بالامس ان الفت تحب هشاما وان هشـــاما يخدعها ليتزوج منها وبالتالى يشاركها جاه والدها ومجده فى حياته، وثروته بعد مماته ٠٠ كلمة صريحة لم ابح بهالاحدسواك وذلك لما اتوسمه فيك من شهامة تدفعك لانقاذ ابنة عمك ومجده وثروته من براثن هذا الوحش٠٠

ثم استرخى ابو جرس على كرسيه لاهثا كمن تسلق جبلا

واخذ يرمق عصاما من خلال اهدابه المرخية ، ويلاحظ تأثير كلامه فى الانفعالات التى تتلاعب بملامحه ، واحتوى كليهما صمت مطبق قطعه عصام بقوله :

ـ ابا جرس ماذا عملت ؟؟

واجابه ابو جرس فى فتور مفتعل ..

ـ وماذا املك ان اعمل .. لقد خططت الخطة .. ومستعد للقيام بتنفيذها خدمة لك ، وهذا كل ما أملك .. مرنى بما ترى ، وستجدنى طوع أمرك ..

ـ هل من رأيك أن عمى يوافق على بعث المبلغ مع هشام بمفرده .

ـ ذلك امر لا يحتاج الى تردد ، فليس فى القرية كلها من يثق فيه عمك ثقته فى هشام ، حتى ألفت وأنت ..

ـ ولكن الا تحسب ان عمى يخشى اللصوص فى الطريق فيبعث حارسا او حارسين معه .

ـ وهل الطريق طويل الى هذا الحد او مخيف ان الامن والطمأنينة التى تعيش بلادنا فيها ستجعل عمك لا يفكر فى اللصوص بتاتا ..

ـ اذن سأسلم المبلغ اليوم الى عمى طالما لم يبق مكتتب فى

اسهم الشركة لم يسدد قيمـة اكتتابه .

ـ كم بلغ مجموعه ؟

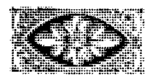
ـ **خمسمائة الف ريال .**

واخرج ابو جرس لسانه يمسح به على شفتيه يرطب جفافهما ثم قال :

ـ ومتى يذهب هشام به ليودعه مصرف المدينة .

ـ غدا صباحا ..

ـ انا ومن معى على موعد معه عند مفترق الطرق وسنعيده الى القرية قبل أن يصل المدينة حاثا التراب على رأسه لاطما خده



الفصل التاسع

النهايــة

وبالفعل عاد هشام فى اليوم الثانى الى القرية بعد نصــف ساعة من خروجه بخمسمائة الف ريال كلفه الشيخ العلايــلى بحملها الى المدينة لايداعها المصرف ، وهى قيمة ما اكتتب بها القرويون من حصص فى الشركة عاد ليقف امام الشـــــيخ العلايلى فى قاعته بالقصر منهوك القوى شاحب الوجه ، مرتجف الاطراف منهار الاعصاب ، وقد راع الشيخ العلايلى ان يراه فى هذه الصورة فسأله فى لهفة :

ـ هشام ماذا حدث ألم تسافر الى المدينة ؟

وتلعثمت الالفاظ متعثرة على شفتى هشام وهو يجيب :

ـ لقد سافرت ولكنى عدت من مفترق الطريق ..

واحس الشيخ بما وراء الفاظه من انهيار فقال بهدوء :

ـ وماذا اعادك ؟

ـ فقال فى صوت متخاذل :

ـ اعادتنى الحقيبة

ـ أى حقيبة ؟

ـ حقيبة النقود التى سرقت من السيارة .

وكمن لذعته افعى وقف الشيخ العلايلى قافزا وقال :

ـماذا هل سرقت النقود .. قيمة حصص الفلاحين واين كنت حينما سرقت .. لعلهم هددوك بالقتل .. أوثقوا كتافك .. ضربوك .. اهانوك تبا لهم من مجرمين آثمين .

ثم أخذ يحملق فى هشام كأنه يبحث عن آثار الاعتـــــــــداء فى جسمه ، ليربت بعينيه على مواضع الضرب فيه ولكنه لم ير أى أثر للاعتداء فراح يسأله ..

ـ هشام يا بنى .. هل غفوت فى السيارة وتركت الفرصة للايدى الآثمة للسرقة ..

واجابه هشام فى كلمات تنطق بالقصور ..

ـ لم اغف يا سيدى ولم يعتد احد على كل ما هنالك اننى حينما وصلت الى مفترق الطرق وجدت بعض صخار تحجزنى عن مواصلة السير ملقاة فى عرض الخط المسفلت ، فاوقفت السيارة ونزلت ازيحها عن الطريق .. ثم عدت الى السيارة لاواصل سيرى ولكنى قبل ان ادير محركها التفت الى حيث تركت الحقيبة بجانبى فلم اجدها .. كأن الارض انشقت وابتلعت الحقيبة او ان بازيا انقض عليها من السماء فاختطفها وكمن اصابه مس من الجن نزلت ابحث عنها بين الصخور القائمة على جانبى الطريق ، وقد وجدت ويا لهول ما وجدت ، وجدت آثار اقدام راكضة .. انها اقدام ثلاثة كانوا على ما يبدو لى مختفين خلف الصخرة التى وقفت السيارة بجانبها ، اننى غر ساذج يا ويحى كان ينبغى أن أحمل الحقيبة معى حينما خرجت من السيارة لازاحة الصخور عن عرض الطريق .. يا له من صباح كارب .. ، خمسمائة ألف ريال تستغرق جمعها حياتى كلها وحياة ثلاثة اجيال من ابنائى .

اننى يا سيدى رهن اشارتك ، خذنى اسلمنى الى البوليس .. زج بى فى السجن ، سأقطع بقية عمرى فيه لاكفر عن هذه

الغلطة التى غلطتها فى حياتى •• او خذهذه الغدارة واسحق بطلقة منها جمجمتى الجوفاء ، التى لم تعرف كيف تجعلنى احافظ على ثقتك بى ••

وبدأ الاعياء واضحا فى صوته ، فكانت الكلمات تخرج كأنها حشرجة محتضر •• وما لبث أن تهاوى الى الارض منهارا مغمى عليه ••

وفى تلك اللحظة دخل عصام وفى حركة مسرحية دنى من هشام وركع بجانبه يدعوه ••

ـ هشام •• هشام ••

ولكن هشاما كان هامد الحركة فى مخالب الاغماءة التى افقدته وعيه ، ولما وجده لا يتحرك تركه والتفت الى الشيخ العلايلى الذى كان يقف بجواره مذهولا كأنما انقضت عليه صاعقة وقال :

ـ سيدى ماذا اصابه ••

ـ يبدو انه اغمى عليه ، لهول الصدمة •

ـ أى صدمة ؟

ـ صدمة اختفاء حقيبة النقود التى سافر بها اليوم لايداعها المصرف •

ـ وكيف اختفت ..

ـ نشلت من السيارة ..

ـ ان اغماءته على ما يبدو لى مفتعلة كقصة نشل الحقيبة

ـ ماذا .. مفتعلة انك تسىء الظن به يا عصام لانك لم تعرفه بعد ..

ـ كيف لا أسىء الظن ، وهل من المعقول أن تختطف حقيبة داخلها خمسمائة ألف ريال فى فلاة ليس فيها نافخ نار ..

ـ ماذا تعنى ؟

ـ اعنى أنها خطة أراد أن يمتلك بها هذا الشاب مبلغاكهذا غير يسير ..

ـ ابعد هذا عن ذهنك ، انه ليس من أولئك الذين يغريهم المال فينسيهم الوفاء والامانة ..

ـ لقد انتهى عهد الوفاء والامانة يا سيدى..المال هو الوفاء المال هو الامانة .. هو الصدق .. هذا هو منطق عصرنا ومفهومه اليوم ..

ـ صه يا عصام ، ان هشاما ليس من أولئك ..

وفجأة سمعا الفت تقول :

ـ نعم ان هشاما ليس من أولئك الاغرار انه أوفى من الوفاء

وأصدق من الصدق فلا يغررك به ابن عمى يا أبتاه ٠

ورشقها عصام بنظرة لاهبة امتزج فيها نار هيامه بنار الغضب ، ووقف صامتا يحدث نفسه ٠

ـ حقا انه أصدق من الصدق وأوفى من الوفاء عندك لانك تحبينه يا مغرورة وسأريك الصدق والوفاء وكيف يزج بهما فى السجن ٠٠

وكان الشيخ العلايلى فى هذه الاثناء يركع بجانب هشام يحاول ايقاظه من اغماءته فركعت الفت بجانب ابيها تهزه حينا وتناديه باسمه حينا آخر ، وما عتم هشام ان تحرك ثم فتح عينيه يجيلها حوله حتى اذا استقرتا على ألفت قال كأنما يئن :

ـ أين أنا ؟

واجابته الفت :

ـ انت هنا فى القصر يا هشام ٠٠

وكأنما احداث يومه انثالت على ذهنه المكدود فقال :

ـ والحقيبة الحقيبة التى بها النقود من سرقها هل عثرتم على السارق آه حتما سيساوركم الظن أنى أنا السارق أقسم لكم بالله الذى خلقنى شريفا اننى لم أسرقها خذوا غدارتى هذه

واخمدوا هذه الانفاس اللاهثة المترددة فى صدرى بطلقة منها، واخنقوا بذلك الشك الذى يساوركم .. شرفى أثمن من حياتى، والعيش فى القبر شريفا.. احسن من العيش فى الدنيا محاطا بنظرات الارتياب ..

وطافت على مبسم عصام ابتسامة ماكرة حاول بها أن يمكن الشك من نفس عمه الذى تجاهله .. أما ألفت فقد أخذت بيد هشام وأجلسته ثم قالت له :

ـ يظهر أن الصدمة كانت قاسية ، وأن اعصابك منهارة.. لقد وجدنا الحقيبة .. وجدها أحد الرعاة ملقاة فى الطريق..

وتسارعت أنفاس هشام وهو يقول :

ـ أحق ما تقولين ؟

ـ أنه الحق يا هشام ، واسأل أبى ..

ثم نظرت الى أبيها وفى عينيها توسل وتضرع ..

فقال الشيخ العلايلى :

ـ نعم يا هشام ان الحلال لا يضيع ، والحق لا يتوارى.. والمحسن فى هذه الحياة لا يضار ، قم يا بنى وامض الى دارك وارح نفسك اليوم .. وانس كل شىء ..

واجابه هشام ..

ـ ولكن هل وجدتم الحقيبة•• كم هو ربى رحيم ••

وأسرعت الفت تجيبه :

ـ لقد قلت لك اننا وجدناها ••

ثم دنت منه واخذت بيده قائلة

ـ سأرافقك الى البيت •• هيا بنا ••

وخرجا من القاعة يتبعهما عصام بنظراته الملتهبة حتى اذا غابا عن فناء القصر التفت الى عمه قائلا :

ـ ماذا يعنى كل هذا ؟

ـ افصح عما تقصد

ـ اقصد اننى فهمت مما قلته انك تتنازل عن قيمة اكتتاب الفلاحين فىالشركة لهشام ••

ـ نعم يا عصام •• هو ما عنيته

ـ ولكن المبلغ كبير يا عماه

ـ مهما كان •• ساعوضه من مالى الخاص ••

ـ مـــاذا ؟

ـ هو ذا •• انصرف واعتبر الموضوع منتهيا •• ولا تناقشنى

* * *

كان عصام يتأهب للخروج من القصر باحثا عن أبى جرس الذى عقد كل آماله عليه ، فقد اعيته الحيلة ، واستعصى عـلى

تفكيره الحل الذى يفتح أمامه الطريق الموصل الى الفت ، وتذليل العقبة التى ظن انه ذللها بالمؤامرة الفاشلة ..

وتجسم هشام أمام ناظريه فتصوره جبلا شامخا يسد كل المناسم حوله .. واحس باليأس يطوقه من كل جانب وهانت عليه نفسه ، ولولا بقية من أمل فى خطط ابى جرس ومؤامراته لاستسلم وانطوى على ذاته ، بل وترك القرية وعمه والشركة والفت، وقضى حياته متقلبا على جمر الحب ، وناره المتأججة فى فؤاده ..

وفجأة سمع الجرس يرن معلنا قدوم شخص ، وحدس ان يكون قارع الجرس ، ابو جرس ، وقد صدق حدسه فقد رأى أبا جرس يقف على الباب حينما فتحه وعلى ملامحه حيرة موئسة حاول اخفاءها بدعابته حين قال :

ـ أظن ان هشاما قدم لعمك صداق الفت من المال المفقود ، فقد رأيتهما يتوجهان الى القرية فى سيارة هشام ، ويكاد كل من يراهما يظن انهما خطيبان او زوجان .

وأجابه عصام بصوت كفحيح الافعى ..

ـ وهل جئت لتعرف متى يقام عرسهما لتشترك فيه ولو لم تدع اليه ؟

وضحك ابو جرس ضحكة جوفاء ثم قال :

- نعم ٠٠ لانى اعرف مسبقا انى لا ادعى الى هذا العرس ٠

وكتم عصام حنقه ، واجاب فى هدوء :

ـ دعك من الدعابة فان الامر لا يستدعى مثل هذه الروح ولا بد ان نعمل بسرعة ، لنفوت عليهما الفرصة ٠

وتأمله ابو جرس من قمة رأسه الى أخمص قدميه ثم قال :

ـ ليس هناك ما ينبغى أن نعمل فان ما عملناه ناجح مائة فى المائة ، كل ما نريده ان تقنع الشيخ العلايلى بان هشاما سارق المال ٠

ـ ومن يستطيع اقناعه ؟

ـ أنت ٠٠

ـ لا أنا ولا أنت ولا كل اهل القرية فقد تنازل الرجل عن المال ، وقفل باب المناقشة فيه ، وغرمه من رصيده الخاص ٠

ـ ماذا أحق ما تقول ؟

ـ نعم يا أبا جرس لقد لعبت الفت وثقة عمى فى هشام دورهما فأحبطت المؤامرة :

ـ لا عليك لقد حسبت لهذا حسابه ٠

ـ أحق ما تقول ؟

قالها عصام فى لهفة الظامىء الذى يجد الماء أمامه بعد اليأس

منه ودون توقع ..

وقد استهوت ابا جرس لهفته فراح يدق صدره بكفه قائلا :

ـ مالها غير ابى جرس . ألم أقل أن الجامعات والشهادات والحياة على مستويات راقية تجمد التفكير فى الانسان ، وهاهو ذا أنت خير مثال لقولى ، صدقنى ان أبا جرس لا ينطق الا بالحكم المستخلصة من واقع الحياة ..

وقاطعه عصام :

ـ من واقع حياة امثالك

ـ التافهين .

ـ استغفر الله امثالك الخبثاء

ـ خبثاء ماكرون دهاة اغبياء تافهون قل ما شئت ولكن لا تنس ان حكمى فى مواقف امثالك صادق . المهم يترتب عليك الآن تبعا للاستراتيجية الجديدة التى يحلو لى ان أسميها .. استراتيجية النفس القصير ، تبعا لها يتعين عليك ان تتوجه الى القرية فورا وتطرق على هشام باب بيته ، وستجد الفت هناك ..

واكمل هشام حديثه بقوله :

ـ ثم اقيم فى البيت باسم حماية الفت ، كما تقيم بعض

قوات قادة يتبعون عكس استراتيجيتك باسم حماية ـ ثورة ـ في بلاد غير بلادهم يمنعون عنها اهلها ومواطنيها ..

اهذا ما تعنيه باستراتيجية النفس القصير ؟

ـ ارجوك يا عصام .. تكلم جادا ان الموضوع اهم من هذه الدعابة بكثير .

ـ ومن الذى سلك طريق الدعابة ـ أنا .. أم أنت ؟

ـ أنا يا سيدى وقد اردت بها ان اخفف بعض ما فى اعصابك من توتر احسست به عند ما رأيتك وأنت تفتح لى الباب ..

ـ اذن قل ما عندك من خطط جديدة ..

ـ الخطة يا سيدى تتلخص فى أن تتوجه الى بيت هشام وسألحق بك فى الطريق معجمع من القرويين استطعت اقناعهم بان هشاما سرق مالهم الذى اكتتبوا به فى الشركة ، وانهم كانوا مخدوعين فيه وان المظاهر التى يظهر بها أمامهم ما هى الا طلاء خادع ، فهو ابعد ما يكون عن الشرف والكرامة والنبل ولو كان شريفا لما راود ناهدا عرضها ..

ـ أحق ما تقول ؟ هل راود هشام ناهدا تلك الفتاةالوديعة العفيفة الطاهرة ..

ـ اسمع انه لم يراودها وانما هى فرية كفرية المال المسروق سأدعمها بالحقائق ، وهل هناك حقيقة اوضح من اعتراف الفتاة نفسها بان هشاما راودها بل واراد اقتسارها ذات يوم فـى غابة القرية لولا ان بعث الله ابا جرس فانقـــذها من بين يديه الملوثتين ..

ـ وهل وافقت ناهد ان تعلن ذلك امام القرويين ؟

ـ نعم .. فقد اغريتها ، وخدعتها ، وافهمتها ان هشــــاما سارق لئيم ناكر للمعروف ، وقد كان اقناعها سهلا لانه تنكر لها بميوله نحو الفت .. افهمت ؟ المهم انك حينما تصـــــل والقرويون وانا من خلفك ، نطلب من هشــــام تفتيش بيته ، والبحث عن المال المفقود ..

ـ وما الفائدة من تفتيش بيته ، والمال المسروق لديك وعصابتك ..

ـ اوه . لقد قلت ان الجامعة والشهادة والحياة عـــــلى مستويات عالية تجمد التفكير .. او تظننى اطلب منك تفتيش بيته لتخرج الى الناس صفر اليدين ، ستجد يا سيدى الحقيبة الضائعة تحت سرير هشام ..

وقفز عصام ، بضع خطوات من مجلسه ، كأنما انفجـــرت

قنبلة على قيد خطوات منه ، وتهدجت انفاسه ودمعت عيناه ثم قال متلجلجا ..

- ماذا تقول .. الحقيبة المسروقة تحت سرير هشام في بيته ..

- الم أقل أن الجامعة ..

وقاطعه عصام ..

- كفى .. كفى انني مصدق قولك .. هيا اسرع ستجدني بعد نصف ساعة .. لا .. لا .. ان ابى سيصل بعد نصف ساعة الى القرية .. لذلك سنرجىء الامر الى ما بعد المغرب .

وقطب ابو جرس حاجبيه وصاح :

- ان الموضوع لا يحتمل التأجيل ، اذ لو عثر هشام على الحقيبة صدفة تحت السرير فستنهار الخطة وتنسف من اساسها ارجوك ان تسرع ، وسأحضر أباك وعمك الى بيت هشام في الوقت الذى تخرج على الناس بالحقيبة ، وتعلن ناهد أمامهم الفضيحة التى تجعل الفت برغمها تكرهه .

هيا اسرع .. والى اللقاء هناك أمام بيت هشام

* * *

حاولت بثينة ام هشام ان تلتقط ما يدور من حديث هامس بين ابنها والفت ولكنها لم تستطع رغم تركيز مسامعها ان تفقه

شيئا مما يتحدثان به ، وقد دفعها الى ذلك ما كانا يبديانه من تحفظ امامها يومئذ بعكس ما اعتادته منهما كلما اتت الفت مع ابنها الى البيت ، وبينما هى فى حجرتها كذلك اذ سمعت لغطا وهرجا أمام البيت ثم طرقا على بابه ، ولم تلبث ان سمعت ابنها هشاما يقول :

ـ كل من تحدثه نفسه على تخطى هذه العتبة لتفتيش البيت سوف تستقبله طلقة من هذه الغدارة ٠

وهبت بثينة مذعورة تسرع الى ابنها فرأته واقفا على باب البيت مشرعا غدارته ، وبجانبه الفت منهارة ، وامام البيت يقف عصام فى جمع من المزارعين والقرويين ما أن رأوها حتى صاحوا :

ـ يا أم هشام ان ابنك سارق

وفى حركة آلية رفعت بثينة يديها تحشر اصابعهما فى مسامعها تذود بها عنها ما يقولون ثم اضطربت فى مكانها تتناوح كما يتناوح الدوح تحت لطمات الرياح الهوج ٠٠

وتقدم اليها عصام ٠٠ ثم امسك بمعصمها وقال لها فى هدوء :

ـ يا اماه

وحملقت بثينة فيه فقد كان فى ندائه لها بكلـــمة « أماه » ما هز كيانها كله ..

واستطرد عصام يقول :

ـ لقد بعث عمى الشيخ العلايلى بخمسمائة الف ريال صبيحة هذا اليـــوم مـــع هشام لايداعهـــا فى مصرف القرية ولكنه عاد من اطراف القرية زاعما أن المـــــــال سرق منه فى الطريق ، وكاد عمى يصدقه ، ولكن ما فتىء ان شك فى الامر فبعثنى لافتش البيت .. ويقطع الشك باليقين

ولم تكد تسمع ذلك منه حتى استدارت الى ابنها الذى يقف بجانبها مشرعا غدارته وهوت على خده بلطمة قاسية وصاحت فيه :

ـ يا لتعاستى .. ليتنى وهبتك يومه بدلا من اخيك لقـــد ضاعت تربيتى فيك ، يا للعار .. اين شرفك .. اين شرف القرية شرف آلعائلة لقد لوثته يا جاحد ، تنح عن طريقهم لتأخذ العدالة مجراها .. وعسى أن أفقدك ..

ثم نحته عن الباب وهو شبه مذهول ، وهتفت بعصام :

ـ ادخل يا سيدى ، فتش ما طاب لك التفتيش ..

وهم عصام ان يدخل ، ولكنه وجد الفت تعترض ســـبيله

فدفعها جانبا دون ان ينطق بحرف ثم دلف الى داخل البيت يتظاهر بالتفتيش ، وما لبث غير دقائق خرج بعدها يلــوح للجمع بالحقيبة المعلقة فى راحته ..

وانهارت بثينة والفت ، وجمد الدم فى شرايين هشام ، وفى محاولة بائسة ضغط باصبعه على زناد الغدارة ، ودوت الطلقة النارية وهى تمر على قيد مليمترات من جانب عصام لتستقر فى جدار البيت ..

وصرخت بثينة فيه :

ـ الق الغدارة يا مجرم .. واسلم نفسك لهذا الجمع .

ونظر هشام نظرة الاسد المجــروح ثم القى الغدارة بــين اقدامها وخطى بضع خطوات الى خـــارج البيت حيث يقــف القرويون صامتين كأن على رؤوسهم الطير .. مأخوذين بموقف الام من ابنها ، حابسين انفاسهم التى تتهدج بها صدورهم .. وهم كذلك اذ اقبلت سيارة الشيخ العلايلى فى سرعة ووقفت على مقربة منهم ، وهبط منها الشيخ العــــلايلى وابو جرس ، وناهد ، وشخص رابع ما كادت بثينة تراه حتى حملقت فيــه مبهورة الانفاس ، وكان ابو جرس اسبقهم الى الحديث فقد قال فى صوت وقور :

ـ ايها القرويون انكم كنتم مخدوعين فى ابن قريتكم هشام ولعلكم عرفتم انه سارق المال الذى زعم ضياعه بعد ان عثـــر عليه فى بيته ، وستعرفون الآن انه مجرم عات ٠٠ وستقـص عليكم ابنة قريتكم هذه ٠٠

واشار الى ناهد ٠٠ ثم استطرد قائلا :

ـ قصتها معه يوم الغابة ٠٠

وهم أن يستمر فى حديثه الا انه احس بلطمة تهوى عـــلى صدغه رمته الى الارض وسمع هشاما يقول :

ـ خسئت يا نذل ، لتقص ناهد القصة ، ليسمع الملأ مـــن الذى حاول افتراسها ٠٠ وكذبت ايضا انى سارق المال ٠٠ انها مؤامرة منك ، والا فكيف عرفت انهم عثروا على الحقيبة فى بيتى ، ولما يمضى على العثور عليها دقائق ٠٠ مؤامرة اتفقت مع عصام عليها ٠٠

ولم يكد ينتهى من حديثه حتى كانت امه تقف بجانبه لتهوى بلطمة اخرى على خده وتقول :

ـ اصمت ٠٠ ليتنى وهبتك بدلا عن اخيك ٠٠

وتسللت عيناها الى حيث يقف الشخص الرابع الذى جـــاء مع الشيخ العلايلى ٠٠ هنالك تحرك الرجل حتى دنى منها ثم قال

فى لطف بالغ ..

ـ بثينة أهذا ابنك توأم عصام ؟

واجابته فى صوت يحشرجه اجهاشتها ..

ـ انه .. هشام ابنى يا سيدى ..

ـ اقصد هل هو توأم عصام ابنك هذا .. ؟

ثم اشار الى عصام الذى كان واقفا بالحقيبة

واجابته مشيرة اليه ..

ـ ان هذا ليس ابنى ..

فهتف بها :

ـ انه ابنك يا بثينة .. توأم هشام الذى وهبتنيه ، لقد ماتت زوجتى احسان وهى لا تعلم حتى آخر لحظة من لحظات حياتها ان هذا ليس ابنها . ماتت منذ سنتين وقد كان عصام آنئذ فى الخارج .. اذكرى يا بثينة موقفك معى يوم المستشفى .. اننى لا استطيع ان انسى مكرمتك فقد انقذت لى يومها حياة اعز مخلوقة لى ..

ثم اتجه بالحديث الى عصام وقد كان فاغرا فاه مندهشا :

ـ عصام هذه امك .. لقد وهبتك لى لتنقذ حياة امك التى تبنتك ، وتحسن الى وقد تبنيتك فاحرمتها منك .

ان امك المتبنية لك أتت بثلاثة بطون كل بطن لفظ جنينه خامد الانفاس ، وفى الثالث قرر الاطباء انها مصابة بانهيار عصبى سيودى بحياتها ان لم تلد جنينا حيا وولدت جنينها متيا ، وقبل ان تعى حقيقة جنينها اخذتك من أمك هذه وكانت ولدتك مع اخيك التوأم لاضعك بجانب امك المتبنية لك ٠٠ محل الجنين الميت ٠٠

ووثب عصام حينئذ الى أمه يعانقها ، وتعانقه، يقبلها وتقبله ثم تركها ليأخذ اخاه هشاما فى احضانه ولكن الاخير ابتعد عنه نافرا ، وقال :

ـ ابعد يا عصام ان أخاك ملوث اليدين بجريمة سرقة حينئذ سمعا ناهدا تصرخ قائلة :

ـ اسمعوا ايها القرويون ان ابا جرس اغرانى بالامس لافترى على السيد هشام فرية محاولته انتهاك عرضى ، وقد وافقته آن ذلك لاكشف امره امام جمعكم ، ولا استبعد ان كل ما اتهم به هشام من حادث السرقة ما هو الا مؤامرة دنيئة من تدبير ابى جرس ٠٠ انه يحقد على هشام ٠٠ والقرية كلها والقرويين

ولم يمكنها عصام من مواصلة الكلام فقد قاطعها :

ـ ليس ابا جرس وحده المتآمر ، على أخى هشام اننى شريكه

فى المؤامرة ، ان هشاما برىء فقد انتشلت الحقيبة من سيارته التى اوقفها ليزيل الصخور التى سد بها ابو جرس وصحبه الطريق عليه ، بقصد انزاله من السيارة ليتاح لهم انتشال الحقيبة على غرة منه وكانوا يتربصون له خلف الصخور ٠٠ وانتشلت الحقيبة ثم وضعت تحت سرير هشام اليوم ٠٠

لقد كان اشتراكى معه دناءة ، وخطيئة فى حق أخى ٠٠ استغفره عليها ٠٠ خطيئة دفعتنى اليها انانيتى لاستخلص بها ابنة عمى لى ، وانى اعلنكم جميعا انى قد الغيت خطبتى لالفت ، واخطبها من ابيها لاخى هشام ، واعلنكم خطبتى لناهد ٠٠

وصاح الفلاحون لقد ملأتها عدلا يا عصام ٠ ثم هبوا يندفعون الى المكان الذى كان ابو جرس يقف فيه ولكنهم لم يجدوه كانما ابتلعته الارض ، فهاج جمعهم واخذوا يتجهون الى كل طرق القرية بحثا عنه ، الا ان الشيخ العلايلى استوقفهم قائلا :

ـ اتركوه ٠٠ فسوف لا يعود الى القرية ، ويكفيه ما لحقه من خزى ، وبالمناسبة فانى اعلنكم موافقتى على تزويج ابنتى الفت بهشام ، كما انى ارجو ان يوافق عصام وناهد على اقامة عرسهما مع عرس ابنتى غدا فى قصرى وجميع اهل القرية

مدعوين لحفل العرس .

❈ ❈ ❈

وما غربت شمس اليوم الثانى الا وكانت الزغاريد تملأ اسماع القرية ، وتدغدغ اعماق بثينة التى كانت مسترخية على احدى ارائك القصر ترقب اشعة القمر التى تسللت من احدى النوافذ لتنداح على فمها وترسم شاشة بلورية اشبه ما تكون بالشاشة السينمائية ، وتعكس عليها حياتها ، بعد ان استقر بها السفر فى القرية يوم كان هشام يلهو باقدامه التى يحاول ابتلاعهما ..

ولم يوقظها من استرخاءتها الحالمة الا كفان قبضتا على معصميها من الجانبين فالتفتت لتجد العروسين الفت وناهدا تقولان لها :

- هيا يا اماه الى حيث تنتظرك المدعوات

واجابتهما فى رقة ..

- هيا ابنتاى ، لقد وهبت واحدا فاعاده الله لى مع اثنتين ليكون جميعهم اربعة ..

ما اكرمه من اله .. وما ابره بعباده ، ولكن الانسان جحود كنود ..